الجماعة الإسلامية الأحمدية

النشأة الثانية للإسلام

تميم أبو دقة

اسم الكتاب: الجماعة الإسلامية الأحمدية النشأة الثانية للإسلام

الطبعة الأولى: ١٤٣٧ هـ /٢٠١٦م

The Ahmadiyya Muslim Community

The Second Advent of Islam

By: Tamim Abu Daqqa

First Published in the UK in 2016

© Islam International Publications Limited

Published by:

Islam International Publications Limited

United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Unit 3, Bourne Mill Business Park
Guildford Road, Farnham
GU9 9PS

For further information please contact:

Phone: +44 1252 891330

Fax: +44 1252 821796

www.islamahmadiyya.net
www.alislam.org

ISBN: 978-1-84880-459-3

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾

(الفتح ٢٩)

الفهرس

مقدمة.....٩

الفصل الأول:

الجماعة الإسلامية الأحمدية: نبوءات تحققت..... ١٣

النبوءة الأولى: النشأة الثانية للإسلام .. "وآخرين منهم لما يلحقوا بهم" ١٧

النبوءة الثانية: افتراق الأمة وفسادها كما حدث مع بني إسرائيل وظهور الفرقة الناجية..٢٣

النبوءة الثالثة: وعد الاستخلاف وعودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة ثانية.....٢٨

النبوءة الرابعة: المماثلة مع بني إسرائيل في الفضل والفساد.....٣٥

النبوءة الخامسة: نزول المسيح وظهور المهدي.....٤١

ما الحكمة من التنوع في النبوءات مع أنها تتحدث عن شيء واحد؟ ٥٨

الفصل الثاني:

مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام..... ٧٤

مولده.....٧٩

نشأته ومسيرته ودعواه.....٨١

الدفاع عن الإسلام وكتاب البراهين الأحمدية ---------- ٨٦

أخْذ البيعة وتأسيس الجماعة---------- ٩٠

إعلام الله تعالى له بوفاة المسيح وأنه هو المسيح الموعود نزوله ---------- ٩٠

مؤلفاته.....٩٣

أدلة صدقه عليه السلام.....١٠١

الدليل الأول: تحقق النبوءات وانطباقها عليه وإعلانه أنه مصداق لها ----١٠١

الدليل الثاني: شهادات كونية في السماء والأرض ----------١٠١

١. شهادة في السماء: ١٠٤
آية الخسوف والكسوف في شهر رمضان ١٠٤
٢. شهادات في الأرض ١٠٨
أ. تعطيل الإبل وظهور وسائل مواصلات حديثة بديلة ١٠٨
ب. انتشار الطباعة والنشر وثورة المعلومات ووسائل الإعلام ١٠٩
ت. علامات أخرى متعددة ١١٠
الدليل الثالث: النصرة والتأييد الإلهي ----------١١١
الدليل الرابع: الآيات والمعجزات والأنباء الغيبية ----------١١٢
١. آية الطاعون..... ١١٢
٢. الأنباء الغيبية..... ١١٥
٣- استجابة الدعاء ١١٦
٤- التحديات والمناظرات والمباهلات ١١٧
الدليل الخامس: هلاك المتقول على الله واندثار دعواه ----------١٢٩
وفاته..... ١٣٣

الفصل الثالث:

الجماعة الإسلامية الأحمدية؛ تأسيسها وإنجازاتها ١٣٧
تأسيسها:..... ١٣٩
سماتها ومماثلتها للنشأة الثانية في بني إسرائيل وفقا للأنباء----------١٣٩
الغرض منها----------١٤٣
شروط الانضمام إليها ----------١٤٥
قيام الخلافة الراشدة على منهاج النبوة فيها مجددا تحقيقا للنبأ----------١٤٧
إنجازات الجماعة..... ١٥٣
تشييد المساجد ----------١٥٣
مراكز الدعوة والتبليغ ----------١٥٣
نشر القرآن الكريم وترجمة معانيه ----------١٥٤

نشر الكتب والمطبوعات الإسلامية ----------١٥٤
المحطة الفضائية الإسلامية الأولى ----------١٥٥
خدمات صحّية وتعليمية ----------١٥٦
نظام تأهيل الدعاة----------١٥٦
تحقيق الوحدة والتآلف؛ أهم إنجاز للجماعة----------١٥٧
مستقبل الجماعة الإسلامية الأحمدية ----------١٥٨
كلمة أخيرة.....١٦١

مقدِّمة

هذا الكتاب مدخل للتعرف إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية، التي هي النشأة الثانية الموعودة للإسلام، والظهور الثاني الآخَر لجماعة المسلمين الملحقة بالأولين التي أنبأ عنها القرآن الكريم، وهي تلك الفرقة الناجية الموعودة التي أنبأ عنها النبي ﷺ والمقدَّر ظهورها بعد مرحلة الفُرقة والاختلاف والضعف والفساد الذي سيصيب الأمة، وهي التي نشأت بها وفيها الخلافة الراشدة الثانية الموعودة على منهاج النبوة، وهي تلك الجماعة التي جاءت أنباء كثيفة ومتنوعة عن قيامها ووقت نشأتها وظروفها وأحوالها في القرآن الكريم وفي حديث النبي ﷺ. هذه الجماعة هي الجماعة المنوط بها تكميل تبليغ رسالة الإسلام إلى العالم كله، والتي سيحقق الله تعالى بها ظهور الإسلام على الدين كله، ويُحقِّق على يديها وعود النصرة، ويعيد بها الإسلام والمسلمين إلى الأمن والسلم والمجد والسؤدد، ويرسي بها أركان السلام العالمي.

فالجماعة الإسلامية الأحمدية ليست حركة دينية قامت على اجتهادٍ نتيجة ظرف معين، وليست مذهبا فكريا قام ردا على مذاهب أخرى، وليست جماعة سياسية بلباسٍ ديني تطمح لتحقيق مصالحها الإقليمية أو العالمية، بل هي جماعة المؤمنين الأخيرة الموعودة التي نشأت بأمر الله تعالى وبدأت بها النشأة الثانية للإسلام، والتي تحمل على كاهلها عبء نشر الدعوة الإسلامية الحقَّة ورسالة

الإسلام السامية، وتبذل الغالي والنفيس في سبيل إظهار صدق الإسلام وصدق النبي ﷺ وإعلاء كلمة الإسلام ونشْر رسالته السمحة، وتعمل على تربية المؤمنين وتعليمهم الكتاب والحكمة والإسلام الحقيقي الأصيل، وتعمل على تجديد إيمانهم برؤية آيات النصرة والتأييد الإلهي – بعد أن انحرف المسلمون عقديا وعمليا، وأصبح الإسلام جسدا بلا روح، وقشرا بلا لبٍّ، وبعد أن تفرق المسلمون واختلفوا وفشلوا وذهبت ريحهم بسبب فسادهم وفساد زعامتهم، مما أدى إلى وقوعهم تحت طائلة غضب الله تعالى وعقابه.

كذلك هي تلك الجماعة التي تُعَدُّ تجليًّا وتجسيدا جديدا للإسلام الحقيقي وللرحمة المهداة التي جاء بها النبي ﷺ المبعوث رحمة للعالمين. فغايتها رفع المعاناة والآلام عن البشرية المعذَّبة، وهداية البشر كافة إلى ما فيه الخير لهم وللعالم أجمع، وذلك بالتأكيد على أن الأمن والسلام لن يتحقق في العالم إلا إذا رضيت البشرية بالله تعالى ربًّا وبمحمدٍ ﷺ نبيا ورسولا، وبالتأكيد على أن إنكار الله تعالى أو اتِّباع الآلهة الباطلة المتنوعة والمذاهب والأديان الفاسدة إنما يقود البشرية إلى الهلاك والدمار وإلى الكوارث المحققة التي شهد العالم نموذجا لها من قبل، وأن العالم إذا أعرض عن رسالة الإسلام فإنه يقود نفسه إلى الفناء عاجلا أو آجلا.

وفي هذا الكتاب نستعرض النبوءات التي تحققت؛ التي تؤكد أن الجماعة الإسلامية الأحمدية هي المصداق لها حصرًا، وأدلة صدق مؤسسها عليه السلام ونبذة

من سيرته المطهرة ومسيرته ودعواه، ثم سمات جماعته وإنجازاتها التي هي مستمرة في القيام بواجبها المقدَّس ورسالتها السامية التي هي رسالة النبي ﷺ.

كانت الفكرة من هذا الكتاب أن يأخذ القارئ صورة شاملة موجزة مركزة عن الجماعة الإسلامية الأحمدية ومعتقداتها، ليسهل على القارئ بعد ذلك الاطلاع على ذخيرة كتبها وعلومها العظيمة التي أعادت للإسلام نصاعته ورونقه وبهاءه ومجده. وقد روعي أن تكون الأفكار متكاملة قدر الإمكان مع هذا الإيجاز، رغم صعوبة المهمة، فنأمل من الله تعالى أن تتحقق الغاية التي من أجلها وضع هذا الكتاب.

وفِّق لتأليف هذا الكتاب الأستاذ تميم أبو دقة، وساهم في إنجازه وإخراجه المكتب العربي في الجماعة الإسلامية الأحمدية بالتعاون مع عدد من الإخوة العرب، فجزاهم الله أحسن الجزاء وبارك فيهم جميعا، آمين.

نسأل الله تعالى أن ينفخ روح بركة في هذا الكتاب ويجعل أفئدة كثير من الناس تهوي إليه، وأن يجعله نافعا وشافيا للقراء الكرام، وسببا لهدايتهم إلى الإسلام الحق. آمين

١٤ رمضان المبارك ١٤٣٧ هـ

الموافق ٢٠ حزيران ٢٠١٦ م

الفصل الأول

الجماعة الإسلامية الأحمدية: نبوءات تحققت

جاءت الأنباء عن قيامِ الجماعة الإسلامية الأحمدية وعن مؤسسها وعن ظروف نشأتها وواجباتها وأعمالها في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف في العديد من النبوءات، التي بالنظر إليها نخلُص إلى صورة متكاملة لا نملك أمامها إلا الإقرار بأن الوقت هو الوقت، وأن النبوءات قد تحققت بحقها بجلاء، وأنها هي وحدها المصداق لهذه الأنباء دون منازع.

وفي هذا الفصل سنستعرض هذه النبوءات وكيفية تحققها.

النبوءة الأولى: النشأة الثانية للإسلام .. ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾

ذات مرة، كان الصحابةُ جلوسًا عند رسول الله ﷺ، يتنعمون بصحبته، ويتلقون فيوض التزكية وتعليم الكتاب والحكمة من مائدته الروحانية، وقلوبهم فياضة بالحمد والثناء لله رب العالمين، وممتلئة باليقين بتحقق وعود الله تعالى بانتصار الإسلام وظهوره على الدين كله التي بدأوا يستشعرونها. فاشرأبَّت قلوبهم لاستشراف مستقبل الإسلام، وكيف ستستمر هذه النصرة وتتحقق إلى يوم القيامة؛ فنزلت سورة الجمعة[1] لتذكِّرهم بنعمة الله عليهم، ولتجيب على ما تطلعت إليه أفئدتهم:

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا

[1] نصُّ الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قَالَ قُلْتُ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ: {لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ} (صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن)

يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجمعة: ٢-٤)

ففهموا من هذه الآيات التي تقديرها: "أن الله الذي بعث فيهم رسولا منهم، وهو محمد ﷺ، سيبعثه في "آخرين منهم لما يلحقوا بهم"؛ أي أنه ستكون للنبي ﷺ بعثتان! البعثة الأولى فيهم، ثم البعثة الثانية في آخَرين سيلتحقون بهم في المستقبل البعيد، بعد فاصل زمني، ولكن هؤلاء الآخرين، رغم هذا الفاصل، سيُعَدُّون منهم.

لم يتساءل الصحابة كيف سيُبعثُ النبي ﷺ مرة أخرى بعد زمن طويل، رغم غرابة هذا النبأ، ولم يقولوا له: هل ستعيش طويلا لتلتقي بهؤلاء الآخرين، أم سيحييك الله تعالى من بعد موتك لتبعث فيهم؟ فقد تعلَّموا من النبي ﷺ أن عليهم أن يؤمنوا بوعود الله تعالى مجملةً وأن يفوضوا كيفيتها وجزئياتها إلى الله تعالى. وقد رأوا أن الآيات واضحة في التصريح بنبأ بعثته ﷺ الثانية، وهم يوقنون بتحققها. فكان سؤالهم عن هؤلاء السعداء الآخرين الذين ستكون فيهم هذه البعثة الثانية، والذين سيحظون بصحبة النبي ﷺ مجددا، وسيعَدُّون منهم. فسألوا النبي ﷺ: {مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ}؟

فكان جواب النبي ﷺ، بعد أن وضع يده الشريفة على كتف سلمان الفارسي رضي الله عنه:

{لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ[٢] مِنْ هَؤُلَاءِ}

كان جواب النبي ﷺ مفاجئا وخلاف التوقع! فسؤالهم كان عن هؤلاء الآخَرين الذين سيُبعث فيهم النبي ﷺ ويحظون بصحبته، ولكن جواب النبي ﷺ كان عن حقيقة بعثته الثانية؛ فبيَّن لهم أنه ﷺ لن يُبعث بنفسه، بل سيقوم بهذه المهمة نيابة عنه رجل فارسيٌّ منه ﷺ، سيحظى بشرف تمثيل النبي ﷺ وكأنه موجود بنفسه، ويعمل على تربية جماعته كتربية الصحابة الأوائل، ويكون متفانيا في حب النبي ﷺ وطاعته بحيث يصبح وجوده الذاتي معدوما؛ لذلك لم يذكره القرآن الكريم، بل ذكر أن الذي سيُبعث هو النبي نفسه ﷺ، لأن هذا الرجل ليس له من نفسه شيء، بل سيكون بمنزلة ظلٍّ للنبي ﷺ تظهر به نبوة

[٢] المقصود بقوله "رجالٌ أو رجلٌ من هؤلاء" أن هذه الجماعة سيؤسسها رجل يُعيد الإيمان إلى الثريا ثم يخلفه رجال آخرون، وأن هذه الجماعة ستبقى وستستمر.

أما الظن بأن المقصود من الجواب هو أن الفرس سيدخلون الإسلام- كما ذهب البعض- وسيصبحون كالصحابة، فهذا لا يصح، لأن الفرس قد بدأوا بالدخول في الإسلام في زمن الخلفاء الراشدين ولا يمكن أن يشابه الصحابة في الفضل أو يتساوى معهم في زمنهم من آمن بعدهم ولم يشهد النبي ﷺ ويتربى على يده. ثم لو كان هذا الافتراض صحيحا لكان أولى أن يقول النبي ﷺ عندما وضع يده على كتف سلمان الفارسي ﷺ "سيكون هذا وقومه"، لأنه بلا شك خيرُ الفرس في ذلك الزمان لأنه صحابي، ولا يمكن أن يأتي بعده في ذلك الزمان من هو خير منه. ثم إن النبي ﷺ قد أخبر عن زمن مستقبلي بعيد يُرفع فيه الإيمان ويعيده الرجل الفارسي، أما في زمن الصحابة فقد كان الإيمان في أوجه وبقي واستمر في حالة متقدمة في القرون الثلاثة الأولى.

النبي ﷺ من جديد كما تظهر الصورة في المرآة، بصفته أحد أتباعه المخلصين المتفانين، وسيرى العالم ببعثته أيضا مشهد ظهور جماعة الآخرين التي تماثل الأولين من الصحابة.

فبهذا، فهم الصحابة أن الإسلام سيتعرض إلى فترة من الانحطاط[٣]، بعد أن يحقق الغلبة في بادئ الأمر التي بدأوا يشهدونها، وأنَّ من المقدِّر له أن يصل إلى مرحلة بائسة من الفساد يصبح فيها جسدا بلا روح، وقشرا بلا لبٍّ، وأن الإيمان سيُرفع من الأرض، ولكن هذا الرجل الفارسي سيرتقي لينال هذا الإيمانَ، ثم ينزل به إلى الأرض مجددا، لتتحقق به نشأة ثانية للإسلام بعد انحطاطه.

وبالنظر إلى حال الأمة في هذا الزمان، سنجد أنها قد وصلت إلى ذروة فسادها حقًّا بحيث لا يُتصور مزيد، وأن الإيمان قد رُفع من الأرض، وأن الأمة في أردى مراحل انحطاطها وتراجعها، وأنها تحتاج إلى نفحات القوة القدسية

[٣] وردت أنباء فترة الانحطاط والتراجع والفساد التي سيتعرض لها الإسلام، والتي ستتلوها نهضة الإسلام من جديد لتستمر إلى يوم القيامة، في مواضع كثيرة من القرآن. ويتضمن الجزء الثلاثون "جزء عمَّ" كثيرا من السور التي تركز على هذا النبأ العظيم؛ بل إن هذا هو المغزى الأساس الذي ركز عليه هذا الجزء خاصة. ويمكن مراجعة الأجزاء الثامن والتاسع والعاشر من التفسير الكبير لحضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام لمزيد من التفاصيل.

للنبي ﷺ لتحيا من جديد. فلا بد أن تكون هذه البعثة الثانية للنبي ﷺ قد حدثت، لأن هذا هو زمانها.

وبالنظر إلى الدعوات القائمة في الأمة الإسلامية، نجد أن جماعة وحيدة فقط هي التي تعلن أنها مصداق تحقق هذا النبأ، وأن مؤسسها هو ذلك الرجل الفارسي الذي أخبر عنه النبي ﷺ والذي يخلف النبي ﷺ في البعثة الثانية. ووقوفها وحيدة وإعلانها أنها مصداق لهذا النبأ، بعد إدراكنا أن الوقت هو الوقت، هو دليل كافٍ لإدراك أنها هي مصداق هذه النبوءة قطعًا. فكيف إن تفحصنا أحوالها وأعمالها وخدماتها؟

الواقع أن المنصف المطَّلِع على أحوالها لا يجد بُدًّا من الاعتراف أنها تطابق تماما ما كان عليه الصحابة الأوائل ﷺ، وهي تستحق أن تسمَّى جماعة الآخرين وأن تُلحق بجماعة الأولين.

فالجماعة الإسلامية الأحمدية هي الوحيدة التي تعمل على نشر دعوة الإسلام في العالم أجمع وتبليغها للناس وبناء المساجد في كل بقاع الأرض، وهي التي تعمل على نشر كتاب الله القرآن الكريم وتقديم ترجمة معانيه بشتى لغات العالم. وهي التي تسعى لتعريف الناس بالنبي ﷺ وأسوته الحسنة وتدافع عنه في كل موطن بكل بسالة، وهي التي تقف في وجه حملات التنصير التي استهدفت المسلمين في البلاد النامية الفقيرة في أفريقيا وفي غيرها، وعملت على إعادتهم إلى الإسلام بالحجج والبراهين، وقامت بمساعدتهم بكل ما تستطيع في

مجالات الصحة والتعليم وتوفير الماء النظيف والكهرباء وغيرها، على محدودية إمكاناتها. وهي التي أعادت الشرف والمجد للأمة؛ بالتزامها الخلقي وأسوة أفرادها الحسنة وعملها الدؤوب، الذي لو قورن به عمل غيرها من المسلمين مجتمعين فلن يبلغ عشر معشاره، بل أدنى من ذلك!

النبوءة الثانية: افتراق الأمة وفسادها كما حدث مع بني إسرائيل وظهور الفرقة الناجية

أنبأ القرآن الكريم أن الأمة ستفترق، وسيتسلل إليها الشرك والفساد، وسيُهجَر القرآن الكريم، كما في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٣١)

﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (الحجر: ٩١-٩٢)

كما أنبأ الله تعالى في القرآن الكريم بأن الأمة سيتسلل إليها الشرك وستتفرق إلى طوائفَ وشيعٍ كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون، كما حدث للذين من قبلهم:

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [٤] (الروم: ٣٢-٣٣)

كما أنبأ أيضا أن المسلمين سيُفسدون في الأرض ويقطِّعون أرحامهم:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (محمد: ٢٣)

وجاءت أنباء هذه الفُرقة والفساد في حديث النبي ﷺ، حيث جاء فيه:

---

[٤] عندما يحذر القرآن الكريم من أمر ما فهذا يعني أنه يتنبأ بأنه سيحدث، وإلا كان التحذير بلا جدوى. لذلك فإنه في التحذير من التفرق إشارة ونبوءة بالتفرق.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ} (سنن ابن ماجه، كتاب الفتن)

وواقع الحال يبيِّن أن هذا الأمر قد تحقق، وأن هذا وقت ذروته. فلا سبيل لإنكار أن الأمة قد فسدت وتفرّقت إلى فرق شتى؛ كل حزب بما لديهم فرحون، يكفِّرون بعضهم بعضا، بل ويتعطشون لدماء بعضهم، ولا يرقبون في إخوانهم من المسلمين إلّاً ولا ذمة.

وقد أكَّد النبي ﷺ في هذا الحديث أن الفِرق والجماعات والطوائف كلَّها ستكون على الباطل، وستدعو أتباعها إلى النار، وأن فرقة واحدة فقط هي التي ستكون على الحق؛ وهي "الجماعة"!

كذلك فقد أوضح النبي ﷺ حال هذه الفِرق الفاسدة المتناحرة في أحاديث أخرى، كما في حديث حذيفة بن اليمان[٥]، حيث بيَّن بأنهم يهدون بغير هديه

[٥] عن حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ أنه كان يَقُولُ: {كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ قُلْتُ وَمَا دَخَنُهُ قَالَ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا فَقَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ

ﷺ، وأن الواجب هو اعتزال تلك الفِرق كلها، بل خير للمؤمن من أن ينتمي إلى أحدها أن يعضَّ على أصل شجرة حتى يدركَه الموت. وأكد ﷺ أن الواجب حينها هو لزوم "جماعة المسلمين وإمامهم".

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما[٦]، جاء أن الأمة ستبلغ من الفساد مبلغا عظيما وستتفرق إلى فرق تفوق السبعين، وستكون الفرقة الناجية هي التي وصفها النبي ﷺ بقوله: {مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي}

ومن المؤكد أن "الجماعة" في الحديث الأول، و"جماعة المسلمين وإمامهم" في حديث حذيفة، و"ما أنا عليه وأصحابي" في حديث عبد الله بن عمرو هي كلها إشارات واضحة إلى أن هذه الفرقة الناجية ستكون ذاتها جماعة الآخرين

قَالَ تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ} (صحيح البخاري، كتاب المناقب)

٦ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً قَالُوا وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي} (سنن الترمذي، كتاب الإيمان عن رسول الله)

التي أنبأ بها القرآن الكريم في سورة الجمعة، التي سيؤسسها الرجل الفارسي الذي سيكون نائبا وخادما وممثلا للنبي ﷺ، والذي سيكون ظهوره وكأنه بمنزلة بعثة ثانية له ﷺ.

وبالنظر إلى التماثل في الفساد والفُرقة الوارد في نبأ الحديث الشريف بين الأمة الإسلامية وبني إسرائيل، فإننا نخلُص إلى فائدة هامة ترشدنا إلى أن الفرقة الناجية في هذه الأمة ينبغي أن تكون مماثلة أيضا للفرقة الناجية التي قامت في بني إسرائيل، كما تشابهت الفرق الضالة في المسلمين بمثيلاتها عندهم. ومعلوم أن بني إسرائيل قد تفرقوا إلى فرق كثيرة، حتى أرسل الله تعالى إليهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، الذي أسس الفرقة الناجية ودعاهم للإيمان به. وهكذا فإن نبوءة الحديث الشريف تشير إلى أن الفرقة الناجية ستكون حصرًا تلك الفرقة التي يؤسسها مبعوث في الأمة الإسلامية، ولن تقوم على اجتهاد وأهواء[٧]. ولا مفرَّ لنا من الإقرار أنه هو نفسه الرجل الفارسي الذي سيكون نائبا للنبي ﷺ

[٧] جاء في حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قد سمى الفرق في ذلك الزمان ملل أهواء، فعن معاوية بن أبي سفيان أنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً يَعْنِي الْأَهْوَاءَ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ} (مسند أحمد، كتاب مسند الشاميين)

في بعثته الثانية، لأنه هو الموعود الوحيد الذي أشار إليه القرآن الكريم. وهذا يرشدنا أيضا إلى أنه سيكون مثيلا للمسيح في هذه الأمة نظرا إلى مهمته التي تماثل مهمة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في بني إسرائيل.

ولما كان الافتراق في الأمة قد حدث وبلغ أوجه، وهو أمر واقع، فلا بد من أن تكون الفرقة الناجية موجودة أيضا. وبالنظر إلى أن الفرق والجماعات كلَّها لا تتوفر فيها شروط الفرقة الناجية، ولا تعدو كونها شِيعا كل حزب بما لديهم فرحون، وهي بنفسها لا تدعي أنها قامت بأمر الله تعالى أو بوحيه، فلا مفرَّ من الإقرار بأن الفرقة الناجية الموعودة هي الجماعة الإسلامية الأحمدية حصرًا؛ تلك الجماعة التي تعلن أنها جماعة الآخرين الملحقة بالأولين التي أنبأ بها القرآن الكريم، التي أسسها بأمر من الله المبعوثُ الذي يمثِّل النبي ﷺ في بعثته الثانية، والذي هو مثيل المسيح في الأمة؛ كون المسيح في بني إسرائيل هو من أسس الفرقة الناجية.

النبوءة الثالثة: وعد الاستخلاف وعودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة ثانيةً

أنبأ القرآن الكريم بقيام الخلافة في الأمة الإسلامية في قوله تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٦)

إذ تضمَّن هذا النبأ أن المسلمين سيحظون بخلافة تماثل خلافة الذين قبلهم من بني إسرائيل[٨]، وستقوم هذه الخلافة في الذين آمنوا وعملوا الصالحات،

---

[٨] أما عن تشابهها مع بني إسرائيل، فقد بيَّن النبي ﷺ فارقا، وهو أن الخلافة كانت في بني إسرائيل خلافة نبوة، كلما هلك نبي انقضى زمنه وتبعه نبي يخلفه. أما في هذه الأمة، فلا نبي ولا رسول لها إلا محمدٌ المصطفى ﷺ خاتم النبيين، الذي زمنه مستمر إلى يوم القيامة ولم ينقضِ بموته ﷺ؛ لذلك لن يُبعث فيها أنبياء بعده ﷺ يعلنون ببعثتهم إنقضاء زمنه وبداية زمنهم والعياذ بالله، بل سيقيم الله تعالى خلفاء يقومون مقام النبي ﷺ ويخلفونه. وهذا ما جاء في الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ} (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء)

وستكون سببا لتمكين الدين واستتباب الأمن من بعد الخوف، وستكون سببا لنشر التوحيد ونبذ الشرك.

وبالفعل، فقد تحقق النبأ أول مرة، عندما قامت الخلافة الراشدة على منهاج النبوة بعد وفاة النبي ﷺ في جماعته جماعة الأولين؛ التي كانت خير جماعة مؤمنة عاملة للصالحات، فمكَّن الله تعالى بها الدين بأن تولَّت جمْع القرآن الكريم وحفْظه، وحافظت على سنة النبي ﷺ وتمسكت بها ودافعت عنها ببذل الدماء، وبدَّل الله بها الخوف أمنا إذ نصرها نصرا عزيزا مؤزرا عندما تكالب عليها المرتدون والمنافقون وشذاذ الآفاق من الكافرين وأدعياء النبوة الكذبة وأرادوا القضاء عليها ليقضوا على الإسلام.

ولكن كان من المقدَّر أن ترتفع هذه الخلافة الراشدة الأولى بعد فترة من الزمن، لأن جماعة النبي ﷺ الأولى؛ جماعة الأولين، ستصبح أقلية بعد أن يزداد عدد الداخلين في الإسلام ممن لم يحظوا بمصاحبة النبي ﷺ أو يتربوا على يد الصحابة، ولأنه كان مقدَّرا أن يبدأ الفساد بالتسلل من بعدها حتى يبلغ أوجه بعد ثلاثة عشر قرنا. وقد أنبأ النبي ﷺ برفع الخلافة الراشدة ثم بعودتها مجددا في جماعة الآخرين، حيث جاء في الحديث:

عن حُذَيْفَةَ بن اليمان قالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ **خِلَافَةٌ** عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ

يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ثُمَّ تَكُونُ **خِلَافَةً**[٩] عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ثُمَّ سَكَتَ} (مسند أحمد، كتاب أول مسند الكوفيين)

وقد تحقق هذا النبأ بحذافيره؛ حيث قامت الخلافة الراشدة أولا، ثم جاء بعدها الملك العاض الذي سُمِّيَ خلافةً والذي تَمَثَّل في الأمويين ثم العباسيين والفاطميين؛ الذين كانوا يتنازعون السلطة ويعضُّون عليها ويستمسكون بها بشدة ويقتِّل بعضهم بعضا من أجلها، ثم الملك الجبري الذي سُمِّي خلافة أيضا والذي تَمَثَّل في الدولة العثمانية[١٠] التي حكمت البلاد الإسلامية حكما جبريًّا

[٩] نصُّ الحديث يؤكد أن الخلافة لن تنقطع يوما، بل إنها ستتسلسل وتتحول بعد أن تنشأ أول مرة، وهذا ما تحقق على أرض الواقع كما هو معلوم. فإشارة إلى نشأتها أول مرة بعد النبوة جاء نص الحديث ليقول: "ثم تكون خلافةٌ على منهاج النبوة" وهنا الفعل "تكون" هو فعل تام فاعله "خلافةٌ"، أما بعد ذلك فالفعل "تكون" أصبح فعلا ناقصا، واسمه المضمر هو "الخلافةُ" وأصبح كل من "ملكا عاضًا" و "ملكا جبرية" و"خلافةً على منهاج النبوة" إنما هي أخبار الفعل الناقص "تكون" المكرر. وتقدير الجمل هو: "ثم تكون الخلافةُ ملكًا عاضًا.. ثم تكون الخلافةُ ملكًا جبريةً.. ثم تكون الخلافةُ خلافةً على منهاج النبوة. وفي هذا تأكيد للتسلسل الزمني بلا انقطاع في تحوُّل الخلافة من صورة إلى صورة، ونفي إمكانية وجود انقطاع زمني.

[١٠] هنالك من يقول إن هذا الحديث قد تحقق، ولكننا ما زلنا في فترة الملك الجبري التي يحكم فيها حكام ظالمون مستبدّون في البلاد الإسلامية، والذي بانتهائه ستظهر الخلافة الراشدة على

تميَّز بالقسوة والقوانين والأحكام الجبرية، وخاصة في أواخر عهدها.

ووفقا لهذا الحديث، لا مفرَّ من التسليم أن جماعة الآخرين، التي هي الفرقة الناجية، لا بد أن تكون قد نشأت في أواخر زمن خلافة الملك الجبري الذي هو الدولة العثمانية، وأنه لا بد أن تكون قد نشأت فيها الخلافة الراشدة الثانية فورا ودون انقطاع كما تلت خلافةُ الملك العاض الخلافةَ الراشدة، وكما تلت خلافةُ الملك الجبري خلافةَ الملك العاض.

كذلك فإن الحديث يبيِّن أن هذه الخلافة الثانية ستكون على منهاج النبوة، كما كانت الخلافة الأولى على منهاج النبوة. ومعلوم أن الخلافة الأولى قامت بعد وفاة النبي ﷺ في جماعة صحابته الأولين، حيث أقام الله تعالى الخليفة

منهاج النبوة، بل ومنهم من أخذ يبارك أعمال الثورة والتمرد والانقلاب على هذه الأنظمة مستبشرا وواعدا الناس بظهور هذه الخلافة المزعومة بعد سقوطها! وهذا القول باطل بداهة، لأن هؤلاء الحكام ليسوا امتدادا لخلافة الملك، ولا يسمى حكمهم بالخلافة أصلا، وهم بأنفسهم يقرون بأن خلافة الملك سقطت بسقوط الدولة العثمانية. والواقع أن نصَّ الحديث لا يسفعهم في فهمهم هذا؛ فالحديث يتحدث عن الخلافة حصرا وتحولها من صورة إلى صورة لا عن نظم الحكم التي ستحكم المسلمين عموما.

أما لو كان نص الحديث يقول في آخره "ثم تكون خلافةٌ على منهاج النبوة"، كما كان في أوله، لكان هنالك إمكانية للقول بالانقطاع الزمني بين خلافة الملك الجبري وعودة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، ولكن النص لم يأت هكذا، وبذلك سُدَّت طريق هذه الإمكانية.

الأول أبا بكر الصديق ﷺ، ثم أقام الخلفاء من بعده واحدا تلو الآخر. فلكي تكون الخلافة الثانية على منهاج النبوة في جماعة الآخرين كما كانت الخلافة الأولى في جماعة الأولين فهذا يستلزم تلقائيا أن تقوم بعد البعثة الثانية للنبي ﷺ، والتي سيمثله فيها خادمه ﷺ، ذلك الرجل الفارسي، الذي سيكون مظهرا لبعثته الثانية. وبخلاف ذلك لا يمكن أن تقوم خلافة راشدة، ولا يُمكن أن توصف بأنها على منهاج النبوة.

ولقد تحقق هذا النبأ بكل وضوح وجلاء في الجماعة الإسلامية الأحمدية، التي نشأت في أواخر زمن الدولة العثمانية، وقامت فيها الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة بعد وفاة خادم النبي ﷺ وممثله ونائبه الذي كان مظهرا للبعثة الثانية للنبي ﷺ؛ مما يجعلها حقًّا خلافة على منهاج النبوة، لأنها قامت بعد البعثة الثانية للنبي ﷺ في جماعة المؤمنين الأخيرة كما قامت الخلافة الأولى بعد بعثته الأولى في جماعة المؤمنين الأولى.

هذه الجماعة التي شهد الله تعالى بإقامة الخلافة فيها ابتداءً من ذلك الوقت أنها هي جماعة الآخرين الذين يشابهون الصحابة في الإيمان والعمل الصالح، وهي الجماعة الوحيدة التي تعلن بأعلى صوتها بأن الخلافة قائمة في الأرض وأن الإسلام ما زال حيا وعزيزا، وأن الله تعالى قد وعدها بالنصرة كما وعد الخلافة الأولى. وهي التي تقف صامدة أمام أعداء الدين من الداخل والخارج الذين يبذلون كل جهودهم للقضاء عليها.

إن شيئا من التدبر في هذا النبأ لن يترك مفرًّا من الإقرار بأنه قد تحقق كاملا في الجماعة الإسلامية الأحمدية، التي قامت فيها الخلافة منذ أكثر من قرن، واستمرت بالقيام بمهامها بكل ثبات، وأيدها الله بتوفيق ونصرة خارقة للعادة، وصمدت أمام ظروف قاهرة ما كان يمكن أن تصمد أمامها لو لم يكن الله معها مؤيدا وناصرا. وهي الجماعة الوحيدة التي يحقُّ لها أن تدعي أنها على منهاج النبوة، لأنها قامت بأمر من الله تعالى بعد بعثة النبي ﷺ الثانية التي خلفه فيها الرجل الفارسي الموعود، والتي تتجمع فيها وفي زمنها العناصر كلها المؤكدة أنها هي الحقَّة[١١].

[١١] أما الظن بأن الخلافة الثانية ستكون خلافة حاكمة ملكية سلطانية عسكرية، فهذه مجرد أمانيّ لا علاقة لها بالنبأ؛ إذ إن النبأ يؤكد أن خلافة الملك ستنقطع بخلافة الملك الجبري ثم تبدأ بعدها الخلافة على منهاج النبوة، ولن تكون هذه الخلافة صورةً جديدة لخلافة الملك. ثم إن المسلمين قد عاشوا زمنا طويلا تحت حكم الخلافة السلطانية، فما لبثوا أن تمردوا عليها بعد أن فسدوا هم كما فسد سلاطينهم، لذا فلا يرجى صلاح أحوالهم بدولة خلافة عسكرية جديدة. والله تعالى إنما أراد أن تعود الخلافة الراشدة لتعالج هذا الفساد وتصلح أحوالهم ولتقوم بمهام الخلافة الأولى، والتي هي مهام النبوة، والتي اختصرها الله تعالى في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (الجمعة: ٣). والتي هي تلاوة آيات الله؛ أي الاهتمام بالقرآن الكريم ونشره في العالم، وكذلك تقديم الأدلة على وجود الله تعالى بالحجج العقلية والآيات السماوية، وتزكية المؤمنين وتطهيرهم، وتعليمهم الكتاب والحكمة.

أما كون الخلافة الراشدة الأولى حاكمة فهذا اقتضاه أن النبي ﷺ كان قد جمع له النبوة والملك -في الفترة المدنية لحكَم إلهية؛ على رأسها تقديم الشريعة الكاملة والأسوة الحسنة في شئون الحكم والسياسة- والخلافة ورثته في المنصبين. ولكن منصبه الأساس هو النبوة التي مهماتها تلاوة آيات الله والتزكية وتعليم الكتاب والحكمة، ومنصب الخلافة الأساس هو المعني بهذه المهام أيضا. أما الخلافة السلطانية التي جاءت بعد الخلافة الراشدة فلم تكن سوى خلافة حكم، ولم تكن تقوم بمهام الخلافة الراشدة، ولم تكن قادرة عليها.

النبوءة الرابعة: المماثلة مع بني إسرائيل في الفضل والفساد

أشار القرآن الكريم إلى المماثلة بين الأمة الإسلامية وبني إسرائيل، ووردت هذه المماثلة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، أبرزها ما جاء في سورة الفاتحة، أولى سور القرآن، التي تضمنت دعاءً يجب أن يردده كل مسلم في صلواته راجيا أن يكون من الذين أنعم الله عليهم، لا من المغضوب عليهم، ولا من الضالين.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٦-٧)

والمغضوب عليهم هم اليهود الذين أفرطوا في دينهم، وارتكبوا السيئات باسم الله وباسم دينه، فحلَّ عليهم غضب الله وعقابه. والضالون هم النصارى الذين فرطوا في دينهم وانحرفوا انحرافا كبيرا أبعدهم عن التقوى والطهارة.

أما الذين هداهم الله تعالى صراطه المستقيم، "وأنعم عليهم" من بني إسرائيل، فهم من تذكرهم الآية الكريمة:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٧٠)

فالذين أنعم الله عليهم من بني إسرائيل كانوا الأنبياء والصديقين والشهداء

والصالحين في تلك الأمة، وهم الذين يجب أن يدعو المسلم ليكون منهم في المرتبة والمكانة والفضل.

وهكذا فقد أكَّد القرآن الكريم أن الأمة ستنقسم إلى ثلاث فرق رئيسة تماثل الفرق الثلاث التي كانت في بني إسرائيل؛ وهي أمثال اليهود، وأمثال النصارى، والذين أنعم الله عليهم.

فأما أمثال اليهود وأمثال النصارى، فهم الفرق الضالة التي ستشكل أغلبية الأمة الإسلامية عند فسادها، التي بتفحص أحوالها سيتضح أنها واقعة إما في الإفراط أو في التفريط، وأنها واقعة في أخطاء عقدية وسيئات عملية تماثل ما وقع فيه بنو إسرائيل بشقَّيْهم. ولا شك أن هذه المماثلة في الفساد قد بدأت بالتسرب إلى الأمة منذ فترة طويلة، ولكنها تبلورت وظهرت في صورتها الكاملة عندما وصلت الأمة إلى القمة في الفساد والتفرق. وإلى ذلك أشار حديث النبي ﷺ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ} (صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة)

أما الذين أنعم الله عليهم[١٢]، فالمقصود بهم تلك الفرقة الناجية، التي ستمتاز وتبرز وتظهر عندما يبلغ الفساد والتفرق ذروته، وتكون كل الفرق على الباطل سواها، وهي التي أشار الله تعالى إليها في نبوءة سورة الجمعة، وهي جماعة الآخرين الملحقة بالأولين، التي سيقيمها نائب النبي ﷺ وممثله في بعثته الثانية.

وتشير الآية السابقة إلى أن فرقة الذين أنعم الله عليهم من هذه الأمة ستحظى بمراتب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وسينظر إليهم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون من الأمم السابقة بعين الغبطة ويعتبرونهم أحسن الرفقاء.

ولكن الآية تبيِّن أن شرط نوال هذه المراتب في الأمة الإسلامية منوط بطاعة الله وطاعة الرسول، وهذا فضل عظيم للنبي ﷺ خاتم النبيين، الذي بطاعته الكاملة والالتزام بشريعته والفناء في حبه يرتفع المؤمنون إلى مراتب الأنبياء، بينما لم تتيسر هذه المرتبة للأنبياء السابقين، فلم ينل أتباعهم أكثر من مرتبة الصديقية، حيث يقول تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ

[١٢] العجيب أنه لا خلاف على أن الأمة سيأتي عليها ما أتى على بني إسرائيل من فساد وفُرقة، ولكن كثيرين يغفلون عن أن الأمة موعودة أيضا بوجود الفئة الثالثة التي هي فئة الذين أنعم الله عليهم عندما يبلغ الفساد ذروته. فكأنهم بذلك يقرون بالفساد ويقبلونه للأمة ولا يرجون الصلاح ولا يتوقعونه.

أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (الحديد: ٢٠)

فالأنبياء السابقون لم يكن بمقدورهم أن يرفعوا أتباعهم إلى مراتب الأنبياء بطاعتهم لهم، بل كان تأثيرهم يقتصر على مرتبة الصديقية فما دون[١٣].

ولا شك أنه قد خلا في الأمة من الأولياء الصالحين من كانوا يُعَدُّون في مراتب الأنبياء عند الله تعالى، ممن نالوا هذه المراتب نتيجة تفانيهم في طاعة النبي ﷺ وحبه، ونالوا وحيا صافيا وتأييدات إلهية وكرامات تفوق ما كان يظهر على أيدي أنبياء بني إسرائيل أو غيرهم. ولكنهم لم يُعرَّفوا كأنبياء، وإن كانت مرتبتهم هي مرتبة الأنبياء عند الله تعالى، لأن النبوة المستقلة التي ينالها أحد مباشرة من الله تعالى قد انقطعت ببعثة خاتم النبيين ﷺ، ولم يبقَ من النبوة إلا المرتبة والمقام الذي شرطه الفناء الكامل في طاعة الرسول ﷺ وحبه.

---

[١٣] المؤسف أيضا أن هناك من يقول إن أتباع النبي ﷺ لن ينالوا مقام النبوة كما كان السابقون، بل سينالون الصديقية فما دون، ظنا منهم أن عقيدة ختم النبوة تحجب مقام النبوة في الأمة! والواقع أن ختم النبوة يحجب النبوة الجديدة المستقلة التي يصبح من ينالها نبيا جديدا برسالة جديدة ويُطوى بها زمن النبي ﷺ والعياذ بالله، أما درجات مقام النبوة فإن ختم النبوة يفتحها على مصراعيها للفانين في طاعة النبي ﷺ وحبه. واضح تماما أن عقيدتهم هذه مخالفة تماما للقرآن الكريم الذي يفيد عكس ذلك؛ وهو أن الأنبياء السابقين ما كانوا قادرين على إيصال أتباعهم إلى مقام النبوة بعكس النبي ﷺ الذي يعِدُ الله من يخلص في طاعته واتِّباعه والفناء فيه بمقام النبوة.

وبالنظر إلى نبوءة جماعة الآخرين الملحقة بالأولين، التي ستشهد البعثة الثانية للنبي ﷺ عن طريق الرجل الفارسي، فإنه يتضح من هذه المشابهة أنه سيكون أبرز من سيحوز مقام النبوة في الأمة الإسلامية اتّباعا للنبي ﷺ، وسيكون مميزا عن غيره بأنه مبعوث ومكلَّف من الله تعالى بمهمة أشار إليها القرآن الكريم وفصَّلها النبي ﷺ في حديثه، وسيكون متفانيا في النبي ﷺ إلى درجة أنه سيبدو وكأن النبي ﷺ قد بُعث بعثة ثانية، ولكنه بالطبع سيكون بمنزلة الخادم لسيده ﷺ، وبمنزلة الصورة والظلِّ للأصل. وسيكون في جماعة الآخرين أيضا أمثال الصحابة من الصديقين والشهداء والصالحين الذين كانوا في الجماعة الأولى، الذين سيكونون مقدَّمين في الفضل والمنزلة بحيث يعدّون وكأنهم ملحقون بالأولين من أصحاب النبي ﷺ.

وبالنظر إلى المماثلة مع بني إسرائيل، نرى أن القرآن الكريم يعلن أن النبي ﷺ كان مثيل موسى عليه السلام، لقوله تعالى:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (المزمل: ١٦)

وبالنظر إلى حال الأمة وما كان يماثله في بني إسرائيل، فلا بد أن يكون هذا الرجل الفارسي مثيل عيسى بن مريم عليه السلام، الذي بُعث في زمن الفرقة والفساد والانحطاط عند بني إسرائيل، وأسس الفرقة الناجية فيهم.

لذا، فليس عجيبا أن يذكر القرآن الكريم نبوءة بعثة النبي ﷺ الثانية عن طريق

الرجل الفارسي، وأن يذكر الحديث نبوءة نزول المسيح في الوقت والظروف نفسها للقيام بالمهمة نفسها، مما يؤكد أن النبوءتين تتعلقان بشخص واحد ومهمة واحدة- وإن كان القرآن الكريم قد ركَّز على أنها بعثة ثانية للنبي ﷺ تأكيدا على أن زمنه ممتد إلى يوم القيامة ولن يكون هنالك مبعوث من بعده مستقلا عنه وينهي زمانه، والحديث ركز على أنها نزول المسيح في الأمة إشارة إلى المماثلة في أحواله مع المسيح وأحوال الأمة مع بني إسرائيل في زمانه- وهذا ما سيتضح معنا لاحقا.

نزول المسيح وظهور المهدي: النبوءة الخامسة

ورد في الحديث الشريف نبأ نزول المسيح في آخر الزمان حكما عدلا ليقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية. ومن الأحاديث التي تذكر نزوله ما يلي[١٤]:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ} (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء)

كما ورد في مسلم:

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {....فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ} (صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة)

---

[١٤] خبر نزول المسيح وخروج الدجال جاء في أحاديث كثيرة رواها ما يزيد على عشرين صحابيا، مما يجعله نبأ متواترا، بل لعله من أوثق الأنباء التي يذكرها الحديث الشريف.

وقد وردت أخبارٌ عن ظهور الإمام المهدي في آخر الزمان أيضا في وقت نزول المسيح؛ مما يعني أن المسلمين ينتظرون المسيح والمهدي وفقا للحديث. أما القرآن، فكما ذكرنا سابقا، فهو يذكر البعثة الثانية للنبي ﷺ في أوائل سورة الجمعة[١٥] عند افتراق الأمة وضعفها، والتي فسرها النبي ﷺ ببعثة رجل فارسي يعيد الإيمان إلى الأرض بعد أن يرتفع إلى الثريا. وهكذا يبدو ظاهريا أن المسلمين ينتظرون ثلاثة أشخاص وفقا لأنباء القرآن والحديث وهم: **الرجل الفارسي نائب النبي ﷺ في بعثته الثانية، المسيح، والمهدي.**

وفيما يتعلق بالحديث، فقد بيَّن صحيح الحديث الشريف أن المسيح نفسه سيكون الإمام المهدي أيضا، حيث جاء في مسند أحمد وصفا للمسيح بأنه إمام مهدي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {يُوشِكُ مَنْ عَاشَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِمَامًا مَهْدِيًّا وَحَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ

[١٥] هنالك إشارات قرآنية مباشرة آخرى إلى هذه البعثة منها قوله تعالى:
﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ **وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ** وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (هود ١٨)، حيث تذكر هذه الآية بوضوح أن شاهدا من النبي ﷺ سيتلوه في المستقبل، وأن النار موعد من سينكر النبي ﷺ وذلك الشاهد، ويجب ألا يكون هنالك مراء في هذا الأمر.

الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا} (مسند أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين)

كما جاء في سنن ابن ماجة أنه لا مهدي إلا المسيح:

عن يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ الْجَنَدِيُّ عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ وَلَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} (سنن ابن ماجه، كتاب الفتن) [١٦]

وهذا الحديث يؤكد أن المهدي الحقَّ سيكون هو المسيح حصرًا[١٧].

---

[١٦] حاول بعض المحدثين التشكيك في هذا الحديث لأنه يخالف عقيدتهم بظنهم أن المهدي غير المسيح، ولكن هذا التشكيك لا يصح، لأنه مروي عن ثقات كما أورد أهل العلم. وذكر السندي شارح سنن ابن ماجة ما قاله الحاكم في أن هناك من ظن أن هذا الحديث قد انفرد فيه الشافعي، وهذا ليس بصحيح، ثم أورد سندا لأبي يحيى بن السكن عن محمد بن خالد الجُنَدي أيضا. ثم قال السندي إن الحاكم قال إن الجُندي مجهول، وقد أخطأ في هذا إذ روى عنه أهل العلم أحاديث أخرى وقال عنه يحيى بن معين إنه ثقة.

[١٧] قال السندي تعليقا على هذا الحديث: "وهذا الحديث فيما يظهر ببادئ الرأي مخالف للأحاديث في إثبات مهدي غير عيسى بن مريم وعند التأمل لا ينافيها، بل يكون المراد من ذلك أن المهديَّ حقَّ المهديِّ هو عيسى بن مريم ولا ينفي ذلك أن يكون غيره مهديا والله أعلم". ونقول بأننا إذا قبلنا هذا التأويل فهو سيؤدي إلى النتيجة نفسها، وهي أن شخصية المهدي الحقِّ الكامل هي شخصية المسيح نفسها، أما غيره ممن يمكن أن يسموا بأئمة مهديين

أما أخبار المهدي ومعاملته مع المسيح التي يبدو منها أنهما شخصان مختلفان، فهي ضعيفة ومتعارضة بشدة ظاهريا[١٨]، وينبغي أن تؤول وتفهم على ضوء ما هو أوثق منها من الأحاديث.

أما عن زمانه، فتؤكد الأحاديث- كما رأينا في حديث البخاري أعلاه- أن زمانه سيكون زمن افتراق الأمة وضعفها، لأنه سيكون حكَما عدلا؛ حيث سيفصل فيما اختلفت فيه الفرق الإسلامية المتفرقة، وهذا يعني أنه لن يكون منتميا لأي منها، بل سيؤسس فرقته الجديدة، التي ستكون هي الفرقة الناجية.

وقد رأينا سابقا، أن نبوءة بعثة النبي ﷺ الثانية في الآخرين، وتأسيس جماعة الآخرين الملحقة بالأولين على يد نائبه الرجل الفارسي، ستكون أيضا عند افتراق الأمة إلى فرق ومذاهب شتى. وهكذا يتضح أن زمان المبعوث الفارسي الذي ذكره القرآن هو زمان نزول المسيح نفسه!

فهم دونه، ولهذا فستنتفي الحاجة إلى وجود مهدي غيره في وقته، وتصبح الأنباء المتعلقة بالإمام المهدي المصاحب للمسيح تخصه هو حصرا. أما من يمكن أن يسمى بإمام مهدي خارج ذلك الزمان تجاوزا فهو ليس الإمام المهدي المقصود بالأحاديث أصلا.

[١٨] كذلك تجدر الإشارة إلى أن الأحاديث في الصحاح التي تُحمل على أنها تتعلق بالمهدي الذي يلتقي بالمسيح عند نزوله لم تذكر الإمام المهدي بل ذكرت أميرا أو إماما دون تعريفه. ومع ذلك، فهي عند تأويلها تفيد في إلقاء الضوء على جوانب مختلفة من نبوءة نزول المسيح.

فكيف نوفق بين النبوءتين إذن؟

ليكن واضحا أن القرآن الكريم لا يذكر سوى بعثة النبي ﷺ الثانية في الآخرين عن طريق الرجل الفارسي كما أوضحنا، ومع أن نبأ نزول المسيح في آخر الزمان – الذي سيكون هو بنفسه الإمام المهدي والحكم العدل– قد ورد في الحديث، وهو أدنى درجة من القرآن كما هو معلوم، إلا أنه لا سبيل إلى إنكاره، بسبب تواتر خبر نزوله. لذلك يجب أن نقدِّم خبر القرآن على خبر الحديث، وأن نبحث عن مرتكز لخبر نزول المسيح في القرآن. فخبر نزول المسيح، على ما يحمله من أهمية، ينبغي أن يكون موجودا في القرآن تصريحا أو تلميحا.

وبالنظر إلى القرآن الكريم نجد أنه لم يذكر خبر نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بنفسه مطلقا، ولا يقبل هذا النزول على ظاهره، وذلك لما يلي:

أولا: أعلن القرآن الكريم وفاة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بآيات قاطعة، وأكد أيضا أنه لن يعود بنفسه في آخر الزمان لكسر صليب النصارى الذين اتخذوه إلها –خلافا لخبر الحديث ظاهريا–، كما أنه قد توفي قبل فساد النصارى وتأليههم له[١٩]. فهذا الحكم القرآني وحده كافٍ لكي نرفض عودة

[١٩] يعلن القرآن الكريم وفاة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بصورة قاطعة في مواضع عديدة. وسنكتفي بتبيان أن الله تعالى قد وعده بالوفاة في قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾

المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بنفسه من أساسها، لأنها تصطدم بالقرآن الكريم.

(آل عمران: ٥٦)، ثم ذكر القرآن الكريم أن الوفاة قد تمت بالفعل قبل فساد النصارى في قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: ١١٨) وهذا يعني أنه سيشهد أمام الله تعالى يوم القيامة أنه قد بلَّغهم الدين الحق، وشهد عليهم أنهم يسيرون عليه، ثم فارقهم بالوفاة وهم على التوحيد، ثم لم يعد مرة أخرى بنفسه لإبطال عقيدتهم الشركية القائمة على تأليهه. وقد فسر النبي ﷺ هذه الآية ضمنيا في حديث الردة الشهير حيث جاء فيه: {وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن)، وبهذا فقد أكد النبي ﷺ أنه كما فارق قومه بالوفاة التي هي الموت حصرا كذلك حدث مع عيسى بن مريم عليه السلام، وأنه كما لم يشهد ردتهم كذلك فإن المسيح لم يشهد ردة النصارى وكفرهم وتأليههم له. فلو كان حيًا حتى اليوم لاستلزم هذا أن النصارى لم يفسدوا وأنهم ما زالوا على التوحيد، ثم لو نزل بنفسه وأصلح فساد النصارى فهذا يستلزم أنه سيكذب على الله تعالى يوم القيامة، والعياذ بالله، لأنه قد عاد وكسر صليبهم وأبطل شركهم. فهذه الآية وحدها في سورة المائدة تقدم دليلا كافيا من القرآن الكريم على وفاة المسيح وعلى استحالة نزوله بنفسه. وقد وردت أدلة أخرى عديدة على وفاة المسيح في القرآن الكريم واستحالة عودته بنفسه تصريحا وتلميحا، وقد قدَّمها حضرة المؤسس في العديد من كتبه وفصلها تفصيلا.

أما الظن بأن المسيح ما زال حيًا، وأنه قد رُفع إلى السماء[٢٠]، وأنه ما زال

[٢٠] أما الظن بأن الرفع حيًا إلى السماء مذكور في القرآن، فهو أيضا فهم خاطئ، لأن القرآن الكريم لم يذكر رفعا إلى السماء حيًا، بل ذكر رفع الروح الذي يكون بعد الموت لأرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، حيث يحظون بمراتب رفيعة وفقا لدرجاتهم، لذلك قال تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٦)، وذكَر الرفعَ بعد الوفاة تأكيدا على أنه سيحدث ترتيبا بعدها. والعلة في وعد الله للمسيح بأن ترفع روحه هو أن اليهود كانوا يريدون قتله على الصليب ليكون ملعونا وفقا لعقيدتهم؛ حيث ورد في التوراة: {وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيَّةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ * فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، لأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ.} (اَلتَّثْنِيَة ٢١ : ٢٢-٢٣)، فوعد اللهُ المسيحَ عليه السلام بأنهم لن ينجحوا في قتله على الصليب لكي لا يكون ملعونا وفق عقيدتهم، بل سيحظى بالرفع والإكرام عند الله، والذي هو عكس اللعنة؛ لأن اللعنة هي الطرد من رحمة الله تعالى والإبعاد منه. أما اليهود والنصارى فقد شُبِّه لهم أنه قد قُتل على الصليب، وبهذا أثبت اليهود عليه اللعنة، وأقرهم عليها النصارى للأسف؛ حيث اعتقدوا أنه قد مات ملعونا، وامتص كل اللعنات التي يستحقها المجرمون في الماضي وفي المستقبل، بل صار لعنة متجسدة كما يقول بولس: {اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ».} (رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ غَلاَطِيَّةَ ٣ : ١٣)- والعياذ بالله- ليكون فداءً للبشرية! فجاء القرآن الكريم ليبطل عقيدة اللعنة عند اليهود والنصارى بطريقين؛ الأول أن الله تعالى قد مكر مكرًا ليبطل حيلة اليهود بلعنه ووعد المسيح بالنجاة من القتل على الصليب ثم بالوفاة وفاة طبيعية فيما بعد بحيث يتبع هذه الوفاة رفع روحه وإكرامه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ

حيًّا فيها، وأنه سينزل من السماء تحقيقا لنبأ نزوله في آخر الزمان، فهي عقيدة دخيلة مبتدعة يرفضها القرآن الكريم رفضا باتًّا، ولم ترد في أي حديث، وقد نشأت تأثرا بعقيدة النصارى الذين قالوا برفعه إلى السماء وتحوله من الناسوت إلى اللاهوت بعد صلبه، وأسهم فيها الفهم الخاطئ لمفهوم النزول الوارد في الأحاديث، والظن أنه نزول من السماء، مع أن الأحاديث لم تذكر مطلقا رفعا

الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ٥٥-٥٦)، **والثاني** أن وعد الله تعالى بنجاته من الصليب قد تحقق، وأنهم ظنوا أنهم قد قتلوه على الصليب ولكن هذا لم يحدث وفقا لإعلان القرآن: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء: ١٥٨)، لذا فقد انهارت عقيدة اللعنة عند اليهود الذين أخزاهم الله بنجاته، وانهارت العقيدة المسيحية المحرفة القائمة على الفداء المرتبط باللعنة المرتبطة بموته على الصليب بإعلان القرآن الكريم. ولكن كان مقدرا أن تتبين تفاصيل نجاته من الموت على الصليب وتقدَّم الأدلة التي تثبت صدق الإعلان القرآني بنجاته فيما بعد عندما يستعلي الصليب، فيخرج نائب النبي ﷺ ذلك المسيح الموعود فيكسر الصليب بتقديم هذه الأدلة من كتبهم ومن مراجع تاريخية وعلمية.

إن الإعلان القرآني قد جعل عقيدة نجاة المسيح من الموت على الصليب عقيدة إسلامية راسخة لا يمكن أن يقول بخلافها مسلم. ولكن تأثرا بعقيدة النزول، وبمعتقدات النصارى أيضا، دخلت عند البعض عقيدة أنه قد وقع شبهه على شخص آخر، وهو الذي صلب، أما المسيح فقد رفع إلى السماء. وهذه العقيدة ليس لها سند في القرآن أو الحديث مطلقا، ويكفي لإثبات أنها دخيلة من عقائد النصارى أن مرجعها الوحيد هو رواية ابن اسحاق التي رواها ابن كثير والتي جاء في أولها: "حدثني رجل كان نصرانيا فأسلم!!!".

إلى السماء ولا نزولا من السماء[٢١].

ثانيا: مع أن القرآن الكريم قد صرّح بوفاة المسيح وبعدم عودته قبل يوم القيامة قطعًا كما أوضحنا سابقا، ومع أن هذا الدليل قاطع وكافٍ، فلو تجاوزنا ذلك وافترضنا جدلا أن المسيح سينزل بنفسه على كل حال، فإن هذا النزول يعني مجيء نبي بعد سيدنا محمد خاتم النبيين ﷺ الذي لا نبي بعده[٢٢]، ويعارض القرآن الكريم الذي لم يذكر أن المسيحَ سيبُعث نبيا للأمة الإسلامية بعد أن بُعث إلى بني إسرائيل، بل قد حصر القرآن بعثته ببني إسرائيل، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (آل عمران: ٥٠)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ

[٢١] ورد لفظ النزول في الأحاديث دون السماء، ولم ترد كلمة السماء إلا في حديث واحد رواه البزار وأخطأ فيه وأدرج كلمة "من السماء" في المتن. ومما يدل على أنه إدراج وخطأ منه هو أن ابن حبان الذي جاء بعد البزار قد روى الحديث نفسه بالسند نفسه دون "من السماء". كما كان البزار معروفا بالخطأ والارتجال وقد جرحه النسائي، وقال عنه الدارقطني وغيره من علماء الحديث إنه يخطئ في الإسناد والمتن ويرتجل كثيرا ولا يحدِّث من كتاب كما كانت عادة المحدثين.

[٢٢] قد يقول قائل إن عيسى عليه السلام كان نبيا من قبل، ونزوله لا يعني مجيء نبي جديد، لأنه نبي سابق. إن هذا القول يجانب الصواب؛ لأن النبي ﷺ هو خاتم النبيين، ومن أهم معاني ختم نبوة النبي ﷺ هو أن زمانه ممتد إلى يوم القيامة، وأنه لن يأتي من بعده نبيٌ قديم أو جديد. أما نزول المسيح والاعتقاد ببقائه حيا في السماء إنما يجعل زمن المسيح هو الممتد، ويصبح زمن النبي ﷺ محتوىً فيه، وسيكون المسيح آخر الأنبياء عهدا بالأمة بلا مراء، حاشَ لله!

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٧) وفي الآية الثانية يجدر أن نلاحظ أن المسيح عليه السلام قال بأن النبي ﷺ سيبعثُ بعده. ولو كان سينزل في آخر الزمان بعد النبي ﷺ لكان واجبا أن يقول إنه سينزل مرة أخرى بعد أحمد!

ثالثا: إن نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بنفسه سيؤدي إلى كسر خاتمية النبي[٢٣] ﷺ الذي هو أفضل الأنبياء وأكملهم وأعلاهم منزلة وآخرهم شريعة وزمانا. فختم النبوة يمنع بعثة أي نبي مستقلٍ قديما كان أم حديثا أو مجيئه أو نزوله بأي طريقة[٢٤]. ولو كان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام سينزل بنفسه فهذا

[٢٣] العجيب أن البعض يركزون على أن معنى خاتم النبيين أنه ﷺ آخر الأنبياء فحسب وينسون أن أبرز معاني الخاتمية هي الأفضلية والكمال المطلق على سائر النبيين وليس مجرد الآخرية فحسب، علما أن الآخرية اقتضاها كمال النبي ﷺ وأفضليته المطلقة، لأنه ليس بعد الكمال كمال. ثم هم مع تركيزهم وتحديدهم معنى الخاتمية بالآخرية فقط ينقضونها بأنفسهم باعتقادهم أن عيسى بن مريم عليه السلام سينزل بنفسه وسيكون نبيا من بعده ﷺ!

[٢٤] حاول البعض حلَّ هذا الإشكال بالقول إن عيسى بن مريم عليه السلام عندما سينزل لن ينزل نبيا، بل سينزل للقيام بالمهام التي ذكرها الحديث فحسب، ولن يكون له عمل مع الأمة الإسلامية بخلاف ذلك، بل سيتبع أئمة المسلمين وسيصلي خلفهم! والواقع أن هذه الفكرة مسيئة جدا للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام لأنها تفترض أن نبوته ستنزع منه؛ والنبوة مقام كريم يُنال بفضل الله تعالى ومن ناله فلا يُنزع منه. كذلك فقد ورد في حديث النبي ﷺ في صحيح

يعني أنه هو من سيكون آخر الأنبياء زمانا وعهدا، بل إن زمانه سيصبح طويلا وممتدا ليتضمن زمان النبي ﷺ ثم يستمر بعده، حاشَ لله. بل إن هذا الاعتقاد الفاسد سيثبت أفضلية للمسيح على النبي ﷺ أيضًا لمَّا كان سيبعث لإصلاح أمته. وبذلك فإن الخاتمية بمعانيها جميعا ستسقط أمام هذا الاعتقاد وتُكسر، والعياذ بالله.

رابعا: إن الاعتقاد بنزول نبيٍّ سابق من أمة أخرى أو بعثه من موته أو مجيئه بأي وسيلة ليصلح حال الأمة الإسلامية إنما يتضمن إساءة بالغة إلى النبي ﷺ –الذي كان من الأولى أن يأتي هو بنفسه أو من ينوب عنه من أمته – وإساءة للأمة الإسلامية التي قضى الله تعالى أنها خير أمة أخرجت للناس: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١١). فالأمة التي قُدِّر لها أن تحمل الخير للناس، هل من المعقول أنها لا تحمل الخير لنفسها، وأنها لا تستطيع إصلاح فسادها من داخلها؟!

لذا، فللتوفيق بين نبأ القرآن الكريم ونبأ الحديث الشريف نجد أنه ليس أمامنا خيار سوى الإقرار أن عقيدة نزول المسيح لا تعني أن عيسى بن مريم عليه السلام

مسلم أن المسيح النازل سيكون نبيا حتما حينها، وتكرر وصفه بالنبي أربع مرات، في حديث واحد الذي جاء فيه: {... وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ ... فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى ... ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ .... فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ} (صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة)

سينزل بنفسه؛ لتَعَذُّر ذلك واستحالته بأدلة قرآنية قاطعة، وإنما المقصود بها ظهور[٢٥] شخص من الأمة الإسلامية يكون مثيلا للمسيح، ويسمّى مسيحا نظرا إلى تشابه أحواله معه، ولا يكون نبيا جديدا مستقلا، بل ينال مقام النبوة

[٢٥] إذا حدثت شبهة في لفظ النزول وقيل إن الأحاديث تتحدث عن نزول المسيح فكيف يصبح النزول بعثة وظهورا؟ فنقول إن الأحاديث لم تذكر نزولا من السماء قط، بل ذكرت النزول الذي معناه البعثة والحلول وذكرت البعثة قبل النزول أحيانا. هذا فضلا عن أن النزول من السماء يقتضي أن المسيح قد رُفع إلى السماء حيًا وأنه ما زال حيًا في السماء ولم يمت، وأنه سيلتقي بقومه الذين فسدوا ويكسر صليبهم، وكل هذه العقائد ينفيها القرآن تماما؛ حيث أكّد القرآن الكريم أنه توفي ثم رفعت روحه بعد الموت أي لم يمت ملعونا، ولم يذكر له نزولا ولا عودة بنفسه بأي وسيلة، بل أكَّد أنه لن يعود لإصلاح قومه وكسر صليبهم وإبطال تأليههم له، وسيشهد أمام الله تعالى بذلك يوم القيامة. وقد ذكر القرآن الكريم أن النبي ﷺ قد نزل أيضا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا* رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (الطَّلَاق: ١١-١٢) مع أنه قد ولد كما هو معلوم ولم ينزل من السماء، كما ذكر القرآن أيضا نزول الحديد والأنعام واللباس وكلها قد خرجت من الأرض وفيها.

ومع أن نزول المسيح يتضمن معاني التشريف، إلا أن النزول يأتي بمعنى الحلول المجرد بمكان كما ينزل المسافر أو الضيف. وقد وردت لفظة النزول بحق الدجال في الحديث في صحيح مسلم (الفتن وأشراط الساعة، قصة الجساسة) وفي مسند أحمد (مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب)، حيث ورد أنه ينزل بالسِّبخة قرب المدينة، فهل يمكن أن يقول قائل إن نزوله سيكون من السماء؟ فتأمل!

بطاعته الكاملة وفنائه في النبي ﷺ، وهذا الشخص ينبغي أن يكون هو ذاته الرجل الفارسي الذي ذكره النبي ﷺ في نبوءة بعثته الثانية، والذي سيكون نائبا وممثلا وخليفة له ﷺ، لأنه هو المبعوث الموعود الوحيد الذي يذكره القرآن. كذلك يتحقق ببعثة هذا الموعود الذي ينوب عن النبي ﷺ في بعثته الثانية ما يليق بمقام النبي ﷺ الذي ستعمل قوته القدسية عملها في إصلاح أمته في آخرها كما أصلحتها في أولها وكأنه حاضر بنفسه، لا أن يأتي نبي من أمة أخرى ليصلح أمته ﷺ.

وبهذا سنجد أن نبوءة نزول المسيح في حقيقتها ليست إلا صورة أخرى لبعثة النبي ﷺ الثانية عن طريق الرجل الفارسي، وأن هذا الرجل الفارسي هو من سيكون المسيح الموعود في هذه الأمة.

ومن الأدلة الإضافية على ذلك ما يلي:

أولا: القرآن الكريم، على ذكره أحوال المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بتفصيل –من ولادة وبعثة ونجاة من الصليب ثم التأكيد على وفاته قبل فساد قومه – يخلو تماما من ذكر خبر نزول المسيح، بل قد نفى عودته بأي صورة بنزول أو غيره كما رأينا سابقا. فهذا يؤكد أن مسيح القرآن الذي هو عيسى بن مريم عليه السلام هو حتما غير مسيح الأحاديث النازل، بل شخص آخر مثيل له.

ونظرا إلى أننا لا نجد في القرآن الكريم سوى نبأ بعثة النبي ﷺ الثانية، فهذا

يقودنا حتما إلى أن خبر نزول المسيح في الأحاديث إنما يتعلق بهذه البعثة التي لا بعثة سواها، وهدفه إلقاء الضوء على أن ممثل النبي ﷺ في بعثته الثانية ستكون إحدى صفاته أنه مسيح في الأمة مثيلا للمسيح في بني إسرائيل لا أكثر.

ثانيا: نجد أن القرآن الكريم يؤكد في آية الاستخلاف أن الاستخلافَ في هذه الأمة هو منها وفيها، ويماثل ما كان في الأمم السابقة، حيث لم يأتِ الله بخليفة لأمة من أمة أخرى؛ إذ يقول تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور: ٥٦)

وبهذا يمتنع أن يبعث الله مسيحا من أمة أخرى ليكون مستخلَفا على الأمة الإسلامية.

ثالثا: كذلك نجد أن أحاديث نزول المسيح قد تضمنت أن المسيح النازل سيكون من الأمة، ولن يكون من خارجها، حيث جاء في الحديث:

عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ **وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**} (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء)

وقد ورد الحديث نفسه بالسند نفسه أيضا في مسلم بنصٍّ:

{عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ **فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ**} (صحيح مسلم، كتاب الإيمان)

وتقدير النص الأول هو: "وهو إمامُكم وهو منكم"، ويعاضده النص الثاني للحديث الذي يقول أنه هو بنفسه سيؤمكم وسيكون منكم. ولن يكون المسيح من الأمة إلا إذا كان مسيحا آخر مثيلا للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام وليس هو نفسه[٢٦].

[٢٦] العجيب أن المتمسكين بفهمهم الحرفي، الذين يصرُّون على أن المسيح النازل لا بد أن يكون عيسى بن مريم عليه السلام بنفسه –متجاهلين معارضته الصريحة للقرآن الكريم وما يحتويه من إشكالات وتناقضات– يصرُّون أيضا على تجاهل البيان الصريح في القرآن والحديث أن الاستخلاف والإمامة في هذه الأمة ستكون منها وليس من خارجها، وأن المسيح النازل سيكون منها حتما. والأعجب أن اليهود الذين مردوا على التحريف كانوا أكثر غيرةً على أمتهم من هؤلاء؛ فسعوا بكل ما في وسعهم لتجاهل ما تحتويه نبوءة بعثة النبي ﷺ في التوراة، الذي هو مثيل موسى، من أنه لن يكون منهم {أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ} (التَّثْنِيَة ١٨ : ١٨) بل من إخوتهم؛ أي بني إسماعيل، وأصروا على تحريف المعنى بالقول إن "إخوتهم" إنما تعني هم وليس غيرهم؛ أي من بني إسرائيل. وكذلك نرى المسيحيين من بعدهم أيضا يصرون على ذلك ويفسرونها كما يفسرها اليهود، مع أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بنفسه قد فسرها لهم بقوله: {لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ.} (إِنْجِيلُ مَتَّى ٢١ : ٤٣)! فاليهود والنصارى دفعتهم غيرتهم إلى التمسك بفضل

رابعا: هنالك دليل صريح في الحديث على أن المسيح الموعود النازل في آخر الزمان لن يكون المسيح عيسى بن مريم عليه السلام نفسه، بل سيكون شخصا آخر. فقد جاء في صحيح البخاري في أحاديث متتابعة في كتاب واحد وباب واحد وصفان متناقضان للمسيح؛ وكان الأول هو وصف للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام الذي رآه النبي ﷺ في ليلة المعراج مع الأنبياء الآخرين الذين خلوا من قبل؛ إذ وصَفه أنه ربْعة عريض الصدر جعد الشعر أحمر كأنه خارج من الحمَّام[٢٧]. وكان الثاني هو المسيح الذي الذي لم يكن قد خُلق بعد وسيكون في وقت الدجال والذي وصفه النبي ﷺ بأنه آدم؛ أي أسمر، رجِل الشعر؛ أي أملسه[٢٨].

أمتهم بخلاف ما قرره الله تعالى، أما بعض الحرفيين من المسلمين فيصرون على نزع الفضل من أمتهم وإعطائه لأمة أخرى! فتأمل!

[٢٧] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ لَقِيتُ مُوسَى قَالَ فَنَعَتَهُ فَإِذَا رَجُلٌ حَسِبْتُهُ قَالَ مُضْطَرِبٌ رَجِلُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ قَالَ وَلَقِيتُ عِيسَى فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَبْعَةٌ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ يَعْنِي الْحَمَّامَ} (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء) وجاء أيضا: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {رَأَيْتُ عِيسَى ومُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ وَأَمَّا مُوسَى فَآدَمُ جَسِيمٌ سَبْطٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ} (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء)

[٢٨] {وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الْمَنَامِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ رَجِلُ الشَّعَرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ وَهُوَ يَطُوفُ

وما ذلك المسيح الموعود الذي نزل صاحب هذه الأوصاف – الذي هو ذاته المهدي المعهود– إلا ذلك الرجل الفارسي نائب النبي ﷺ الذي يمثله في بعثته الثانية، والذي هو مؤسس الفرقة الناجية التي هي جماعة الآخرين الملحقة بالأولين. ذلك المبعوث الذي نال مقام النبوة غير المستقلة في الأمة لفنائه في النبي ﷺ ولم يكن نبيا مستقلا أو من خارج الأمة ولم تؤدِّ بعثته إلى كسر ختم النبوة– والعياذ بالله– بل كان مصداقا لها، وهو الذي بدأت بعده سلسلة الخلافة الراشدة تحقيقا لنبأ عودتها الثانية.

هذا الذي تضافرت حوله النبوءات وانطبقت عليه وعلى زمانه بصورة كاملة متكاملة، وأعلن أنه مصداق لها، وانفرد بإعلانه أنه هو المسيح الموعود والمهدي المعهود معا[٢٩]؛ ذلك هو مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية، الإمام المهدي والمسيح الموعود، مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام.

بِالْبَيْتِ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالُوا هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطِطًا أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهِ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطَنٍ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ} (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء)

[٢٩] سبق أن ادعى البعض المهدوية، وما زالت تبرز بين فترة وأخرى دعوات مهدوية، ولكن لم يسبق أن ادعى أحد أنه يجمع بين منصبي المهدي والمسيح قبل مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام، بل معظم أدعياء المهدوية يؤمنون بمسيح حيٍّ في السماء من المفترض أن ينزل لمساندتهم.

ما الحكمة من التنوع في النبوءات مع أنها تتحدث عن شيء واحد؟

وبالنظر إلى هذه النبوءات، التي في الواقع تشير إلى بعثة واحدة وتأسيس جماعة واحدة، يطرأ سؤال وهو: لماذا جاء هذا النبأ على صورة نبوءات متعددة، ولماذا لم يطرحه القرآن الكريم والحديث الشريف على صورة واحدة؟

والجواب هو أن الله تعالى أراد من ذلك أن يكشف جوانب متعددة لهذه البعثة، وأراد أن يكشف المهام المختلفة لهذا المبعوث، وجوانب من الظروف المحيطة، في كل مرة يتم فيها طرح النبوءة. وبهذا فإن الله تعالى يصرِّف الآيات ويقربها لفهم الناس ويجعل فيها جوانب تجذب اهتمام فئات مختلفة من الناس وتناسب أفهامهم.

فبذكره نبوءة البعثة الثانية للنبي ﷺ في سورة الجمعة أراد الله تعالى أن يوضح أن الإسلام سيشهد مرحلة من الانحطاط تتلوها نشأة جديدة ومرحلة من الارتقاء الذي سيستمر إلى يوم القيامة، وأن هذا الارتقاء سيكون مهمة النبي ﷺ نفسه، ولن يحدث بيد أحد غيره أو من خارج أمته، وإن كان الذي سيخلفه وسينوب عنه سيكون رجلا فارسيا من أمته. وهذا الشخص لن يكون

نبيا مستقلا[٣٠] كما كان يحدث من قبل في الأمم السابقة؛ حيث كان الله تعالى يرسل فيهم نبيا بعد أن يُتوفَّى النبي الذي قبله، ولكن نبوة النبي ﷺ هي نبوة زمنها دائم مستمر لا يقتصر على فترة حياته ﷺ، فلا يأتي بعده نبي مستقل، ولا يخلفه إلا خلفاء هم في مراتب الأنبياء ودرجاتهم عند الله تعالى.[٣١]

---

[٣٠] النبي المستقل هو النبي الذي ينال النبوة مباشرة من الله تعالى، دون شرط الفناء في اتِّباع نبي سابق وطاعته، وبغض النظر عن كونه تابعا لشريعة نبي سابق أم لا، وتكون له سلطة على الشريعة؛ أي يمكن أن يأتي بشريعة جديدة ويصبح نبيًّا تشريعيا، أو يمكن أن يكون مأمورا بإجراء تعديلات على الشريعة – وإن كانت طفيفة – إن كان تابعا لشريعة سابقة، ويكون هذا من صلاحيته. هذا النوع من النبوة؛ أي النبوة المستقلة، وهي التي كان عليها جميع الأنبياء قبل الإسلام، قد انقطعت إلى الأبد بفعل خاتمية النبي ﷺ، وهذا هو معنى الآخرية في الخاتمية التي لا تقبل أن يأتي عيسى بن مريم عليه السلام بنفسه من بعده أبدا أو أن يأتي أحد من بعده ﷺ بدعوى نبوة مطلقا. أما المقام والدرجة فلم تُحرم منه الأمة، بل فُتحت على مصراعيها وإلى أقصاها ببركة خاتمية النبي ﷺ.

[٣١] بلوغ المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام مقام النبوة غير المستقلة في الأمة بفضل خاتمية النبي ﷺ ليس هو المبرر أو المرتكز لبعثته ولدعواه، بل المرتكز هو نبوءات النبي ﷺ التي جاءت عن بعثة رجل فارسي سيكون مسيحا ومهديا وسينشئ جماعة الآخرين التي هي الفرقة الناجية التي ستنشأ فيها الخلافة الراشدة الثانية وتستمر إلى يوم القيامة والذي جاء مصداقا لها. أما مقام النبوة في الأمة فهو مقام كان ولا يزال وسيستمر، وهو يعني نوال الأولياء في الأمة مراتب الأنبياء عند الله، بل مراتب تفوق كثيرًا من الأنبياء السابقين، ببركة التفاني في حب النبي ﷺ وطاعته، وبلوغها لا يعني البعثة والتكليف، ولا يجيز لنا أن نسمي أحدا منهم نبيا باجتهادنا،

بل يجب أن نؤمن بهذه المراتب في الأمة إيمانا إجماليا، وهذا لأن النبي هو: (١) الذي يسميه الله نبيا (٢) ويكون رسولا مبعوثا مكلفا بمهمة (٣) ويظهره الله تعالى على الغيب؛ بمعنى أن النبوءات السابقة تنبئ عنه ويكون ظاهرا بناء عليها، كما أنه سيكون ظاهرا على الغيب بتقديم أنباء غزيرة تتضمن البشرى والإنذار. فليس هنالك بعثة بعد المسيح الموعود بمبرر أن شخصا قد يدعي أن بلغ هذه الدرجة، فلم يذكر النبي ﷺ إلا مبعوثا واحدا مكلفا فقط يُظهر نبوة النبي ﷺ مجددا وكأنه بُعث ثانية، وقد سُمِّي هذا المبعوث نبيا في وحي الله وحديث النبي ﷺ، وتحققت فيه شروط النبوة، ولذلك عُرف بأنه نبي. علما بأنه عليه السلام رغم تسميته بالنبي من أول وقت تكليفه ومأموريته من الله تعالى، ورغم أن النبي ﷺ قد سمى المسيح الموعود نبيا في حديثه، فإنه كان يميل دوما إلى تأويلها على أنها ليست سوى تسمية لغوية أو مجازٍ أو نبوة جزئية، لأنه كان يرى أن النبوة لا تكون نبوة ولا يمكن أن تُسمى نبوة إلا إن كانت مستقلة، إلى أن أوضح له الله تعالى له وأمره بإعلان أنه نبي على الحقيقة في النهاية، وأن حقيقة النبوة في أصلها لا يلزمها الاستقلال الذي هو خصيصةٌ وليست شرطًا للنبوة، وإن كان الاستقلال ملازما للنبوة في الماضي وغير منفك عنه. فهذا التدريج في الفهم ومن ثم التوضيح والإعلان الذي أراده الله تعالى يؤكد على أنه لم يقدِّم نفسه نبيًّا ويطلب الإيمان به وفقا لهذا، بل هو المسيح الموعود والإمام المهدي المعهود الذي جاء وفقًا للأنباء، أما إدراك حقيقة مقامه النبوي بداية فلا علاقة لها بدعواه ووجوب قبوله والإيمان به.

أما إذا قيل ما الذي يمنع من ظهور نبوة غير مستقلة جديدة في الأمة؟ فالرد على ذلك هو أنه فضلا عن أن النبوءات أخبرت بمبعوث واحد فحسب في الأمة، كما بيَّنا سابقا، فهي أيضا تقرر بأنه بعد بعثة هذا المبعوث ستنشأ الخلافة الراشدة على منهاج النبوة ثانية وستستمر إلى يوم القيامة، وهذا ما تمَّ بفضل الله. ولا تجتمع دعوى نبوة مع الخلافة، لأن الخلافة هي وارثة النبوة والقائمة بمهامها. وبما أن الأمة موعودة بخلافة على منهاج النبوة دائمة إلى يوم القيامة

وبذكره نبوءة تفرّق الأمة إلى فرق متعددة وظهور الفرقة الناجية أراد من ذلك تسليط الضوء على أن الأمة عندما ستفسد ستتفرق ويبلغ الفساد والفرقة ذروته، فإن الحق لن يكون إلا مع فرقة واحدة، والتي ستسمى الجماعة، والتي هي جماعة المسلمين التي لها إمام أقامه الله تعالى، والتي ستكون سمتها أنها على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه. وفي هذا إشارة إلى أنها هي جماعة الآخرين الملحقين بالأولين التي سيؤسسها الرجل الفارسي نيابة عن النبي ﷺ، كما سيكون فيها أبرز ما كان في جماعة النبي ﷺ وأصحابه، وعلى رأسه وجود الخلافة والتزام الجماعة بطاعتها.

أما نبوءة قيام الخلافة الراشدة على منهاج النبوة ثانية بعد أن تنشأ أول مرة ثم تتحول إلى ملك عاضٍ ثم ملك جبريٍّ، فقد أُريد منها أن تنبئ بمستقبل الخلافة بصورة مذهلة واضحة جلية، وتضع إشارة واضحة للوقت الذي يجب أن نتوقع قيام الخلافة الراشدة الثانية فيه، والذي سيكون بعد زوال خلافة الملك

وفقا لنبأ النبي ﷺ فهذا يقيِّد تلقائيا أي بعثة نبوية مزعومة، لأن أي بعثة مفترضة ستعني إنهاء الخلافة وإبطال نبوءة قيامها ثم استمرارها إلى يوم القيامة.

لذلك، فمن ناحية الدعوى ووجوب الاتباع، فقد أُمرت الأمة بالإيمان بالمسيح الموعود والإمام المهدي وتصديقه واتباعه، وأمرت بلزوم الخلافة الراشدة واتِّباعها من بعده، وسيكون الخلفاء هم بأنفسهم مظاهر لأية نبوءة جزئية لحضرته عليه السلام أو قد أشار إليها النبي ﷺ بخلاف ذلك، ويكون الادعاء بالنبوة أو بأية دعوى خارج نطاق الخلافة لغوا باطلا وكذبا.

الجبري. كذلك أُريد بهذه النبوءة أن ترتبط بنبوءة الفرقة الناجية، وأن ترتبط تلقائيا بنبوءة بعثة النبي ﷺ الثانية عن طريق الرجل الفارسي؛ لكي يتضح أن الخلافة ستقوم بعد هذه البعثة، على منهاج النبوة، كما كانت الخلافة الأولى من قبل قد قامت على منهاج النبوة بعد وفاة النبي ﷺ.

أما نبوءة التماثل بين حال الأمة وحال بني إسرائيل في الفضل والفساد

فهي تسهم في ربط النبوءات ببعضها وفهمها على أكمل وجه، وفي معرفة أحوال المسلمين وما سيؤولون إليه من فساد، وفي معرفة كيف سيتم إصلاحهم. فالنبي ﷺ كان بمنزلة موسى عليه السلام في قومه، مع أنه أرفع درجة ومنزلة منه. وكانت الخلافة في بني إسرائيل خلافة نبوة، كلما هلك نبي بعث الله نبيا آخر، أما في الأمة الإسلامية، فبسبب أن النبي ﷺ هو خاتم النبيين ولا نبي بعده، فإن الذين يخلفونه هم خلفاء، وإن كان مقامهم مرفوعا عند الله تعالى وهم في مراتب الأنبياء عند الله، وهم يقومون بمهام كان يقوم بها الأنبياء في الأمم السابقة، ولكنهم لا يُسمون أنبياء، لأن النبوة الكاملة قد ظهرت في النبي ﷺ، ولأنهم قد نالوا هذه المراتب بكمال الاتباع للنبي ﷺ، فيحصلون بذلك على مقام النبوة، ولكنهم لا ينالون النبوة المستقلة التي ليس فيها شرط الاتباع الكامل والفناء في نبي سابق. لذلك لا عجب أن يخلف النبي ﷺ أحد هؤلاء الخلفاء الذي يُظهر نبوة النبي ﷺ وكأنه قد بُعث ثانية. وهذه هي البعثة التي أُشير إليها في نبوءة الرجل الفارسي. ولا عجب أن يُدعى هذا المبعوث بعيسى بن مريم،

لأنه مثيل عيسى في الأمة المحمدية.

أما نبوءة نزول المسيح فهي ترتبط تلقائيا بنبوءة التماثل بين الأمة الإسلامية وبني إسرائيل في الفضل والفساد؛ حيث توضِّح أن المبعوث سيكون مثيلا للمسيح حتما، وسيأتي في ظروف ووقت مماثل للوقت الذي جاء فيه عيسى بن مريم عليه السلام في بني إسرائيل. فبما أن عيسى بن مريم قد جاء بعد ١٣٠٠ من بعثة موسى، كذلك فإن هذا هو الوقت الذي سيظهر فيه مثيله في الأمة الإسلامية، وكما أن عيسى قد جاء عند فساد اليهود وفُرقتهم، كذلك سيكون حال مثيله في الأمة الإسلامية، وكما أن اليهود كانوا قد فقدوا سلطانهم ودولتهم ووقعوا تحت حكم إمبراطورية الروم، كذلك سيكون المسلمون في وقت قد ضاع فيه سلطانهم وأصبحوا تحت احتلال القوى الاستعمارية المسيحية التي هي حفيدة الإمبراطورية الرومانية، وكما كان اليهود لا يفكرون إلا في استعادة سلطانهم وإقامة دولتهم ولا يلتفتون إلى إصلاح دينهم لتصلح شئونهم كلها ويظنون أن الأنباء عن ظهور المسيح عندهم متعلقة بظهور ملك لليهود يعيد لهم سلطانهم، كذلك سيكون حال المسلمين الذين ينتظرون مسيحا قاتلا ومهديا ملكا سفاكا يقتل الكفار بلا هوادة. وكما كان اليهود ينتظرون نزول إلياس عليه السلام قبل ظهور مسيحهم من السماء لظنهم أنه قد رُفع إلى السماء ورفضوا تأويل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بأن المقصود بنزول إلياس هو ظهور يحيى عليه السلام وسخروا منه وكذبوه، كذلك هو حال المسلمين

الذين ينتظرون نزول عيسى بن مريم عليه السلام بنفسه من السماء لظنهم أنه قد رُفع إلى السماء ولا يقبلون أن المقصود هو ظهور مثيله. فهذه كلها فوائد نجدها بالنظر إلى المماثلة التي تكشف لنا جوانب عظيمة لوقت النبوءة وظروفها والأعمال التي سيقوم بها المبعوث.

أما نبوءة نزول المسيح حكما عدلا وإماما مهديا بصورة منفصلة أيضا بمعزل عن نبوءة التماثل، وكذلك ذكر مهام محددة سيقوم بها، فهو يزيد الأمر جلاءً ووضوحا. فالأحاديث تذكر أن أعمال المسيح هي: كسر الصليب، وقتل الخنزير، ووضع الجزية، وقتل الدجال. فأما كسر الصليب فهذا يعني أن الصليب سيكون مستعليا في ذلك الوقت، وسيكون الوقت هو وقت غلبة النصارى، وأن المسيحية ستشن عدوانا ماديا ومعنويا على الإسلام، وأن الله تعالى سيوفق هذا المبعوث لهزيمة المسيحية بإبطال عقيدتهم القائمة على موت المسيح على الصليب وفدائه للبشرية بتقديم الأدلة الدامغة على أنه لم يمت على الصليب، وسيعيد الاعتبار لعيسى بن مريم عليه السلام ويخلِّصه من اللعنة التي ألصقوها به ظلما وعدوانا. وأمّا قتل الخنزير فإنما يعني أن الإباحة ستكون منتشرة ومروّجة على يد المسيحية، وأن هذا المبعوث سيقضي عليها وسيعيد الناس إلى حياة الطهارة. كذلك فإن الفساد سيكون مستشريا على كل الصعد بسبب الفساد الأخلاقي والطمع والجشع، وهذا لأن من صفات الخنزير أنه مفسد ومخرِّب للزروع أيضا، ولهذا سيوفق الله تعالى هذا المبعوث لرد الناس إلى الأخلاق

الكريمة الفاضلة وسينشر النزاهة والعدل بعد الفساد والظلم. وأما وضع الجزية فهذا يعني أن الوقت لن يكون وقت الحروب الدينية، وأنه هو بنفسه لن يكون سلطانا مقاتلا – لأن الجزية يأخذها سلطان مسلم يحاربه أعداؤه من أهل الكتاب باسم الدين ويريدون فرضها عليه[٣٢]، فيأخذها منهم عقوبة لهم بعد

[٣٢] الجزية في أصلها حكم توراتي، وهي مرتبطة بأحكام أخرى قائمة على العدوان والقتل بلا هوادة والاسترقاق، وقد وردت في الكتاب المقدس ٣١ مرة، ٢٢ في العهد القديم و٩ في العهد الجديد. أما الإسلام فلا عدوان فيه ولا استرقاق لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة ١٩١)، ولا يأمر الإسلام بالاسترقاق، بل يَعدُّ مصير أسرى الحرب المن أو الفداء فحسب؛ حيث قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (محمد ٥). وقد أدان القرآن الكريم هذه العدوان والاسترقاق وفرْض الجزية التي هي من أحكام الكتاب المقدس والتي كان يطبقها اليهود والنصارى في حروبهم، وأباح للمسلمين أن يقوموا بإجراءات عقابية تشمل معاقبتهم بمعاملة أسراهم معاملة الرقيق، دون أن يتحولوا إلى رقيق فعلا، ما داموا هم يمارسون هذه الممارسات بحق المسلمين بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (النحل ١٢٧) –مع مراعاة الصبر وعدم الرد بالمثل إذا كان هذا هو الأنسب– وكما أباح معاقبة الذين وضعوا أحكاما كالعدوان والقتل بلا هوادة والاسترقاق وفرض جزيتهم التي لم يأمر بها الله أصلا ونسبوها إليه ظلما وعدوانا، والتي حرمها الله ورسوله في القرآن الكريم، بأن يرد المسلمون العدوان وأن يفرضوا الجزية على هؤلاء الظالمين الذين يريدون فرضها فيما لو انتصروا، وذلك عقوبة لهم وردعا لعلهم ينتهون عنها، حيث قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا

انتصاره عليهم- وفي هذا إشارة إلى أنه سيكون مثيلا للمسيح الأول الذي لم

بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة ٢٩). فالإسلام إنما قام بهذه الإجراءات العقابية ردعا لهؤلاء المجرمين الظالمين الذين كانوا يشرعون لهذه الفضائع ويرتكبونها، وما كان ذلك إلا بقصد اجتثاثها. وقد نجح القرآن الكريم في اجتثاث هذه الأحكام الهمجية إلى حد كبير من الأعراف الدولية بعد أن أظهر المسلمون نموذج العدل والرحمة والإنسانية والعفو في حروبهم، وذلك إثر تطبيقهم لتعاليم الإسلام على فترة طويلة كانوا فيها أرحم الفاتحين وضربوا أمثلة عظيمة في العدل والإحسان إلى الشعوب التي يحكمونها. أما المسلمون اليوم فقد وقعوا في خطأ فادح وانحراف عن الشريعة الإسلامية بظنهم أن الإسلام يوجب قتال الكافرين بعلة كفرهم وليس لرد عدوانهم- وليس هذا إلا العدوان عينه- وأنه مباح لهم أن يسترقوهم ويسبوا نساءهم، وإن لم يكونوا هم يقومون بذلك اليوم ويطبقونه، وأن من واجبهم فرض الجزية على المهزومين وإن لم يكونوا هم يطبقونها، بل تجاوزوا ذلك إلى ظنهم أن من واجبهم فرض الجزية على مواطنيهم من أهل الكتاب في بلادهم، وأسرفوا في خيالاتهم بظنهم أن المسيح والمهدي القادم لن يقبل بأحكام الجزية والاسترقاق المخففة حسب ظنهم بل سينسخها ولن يقبل من الناس إلا الإسلام وإلا فمصيرهم القتل دون هوادة، وبذلك طابقوا أيضا تصوُّر اليهود والنصارى الذين ينتظرون مخلصا يُهلك كل من سواهم! والواقع أنهم بفهمهم الخاطئ وبِعَدِّهم هذه الأحكام أحكاما أصيلة في الإسلام -وليست أحكاما عقابية تفرض في ظرف معين عقابا على إجرام المجرمين، وضمن حدود معينة، ردعا ومن باب المعاملة بالمثل- قد طبقوا شريعة الكتاب المقدس لا شريعة القرآن، واتبعوا سنة اليهود والنصارى لا سنة النبي ﷺ، وبهذا تنطبق عليهم نبوءة المماثلة واتباع سنن اليهود والنصارى في هذا، وبخاصة فيما يتعلق بالمسيح الموعود وأحواله وأعماله المفترضة. فتأمل!

يكن سلطانا مقاتلا أيضا بل جاء نبيا مصلحا. وهذا يشير أيضا إلى أن الخلافة التي ستقوم بعده لن تكون خلافة عسكرية، بخلاف ما يطمح إليه ويتمناه المسلمون في ذلك الوقت.

وأما الدجال[٣٣] الذي سيتصدى له فهو الأمة المسيحية –وبالأخص

[٣٣] من العجيب أن الله تعالى قد جعل في تسمية الفتنة وتسمية الموعود ما يكشف بجلاء سرهما؛ فالفتنة سُميت بفتنة المسيح الدجال لتشير إلى أنها فتنة المسيحية المحرفة الدجالية التي ستخرج في آخر الزمان وستسعى للترويج لها بالدجل والكذب، كما سمى المبعوث الموعود الذي سيتصدى لها بالمسيح في إشارة إلى أنه سيكون المسيح الحق مقابل مسيح الضلالة! ومع ذلك نرى أن البعض مع الأسف يتمسكون بفهم حرفي خرافي لأحاديث الدجال، ويظنون أنه رجل، على ما في هذا الفهم من تناقضات كبيرة، مع أن النبي ﷺ قد عدّ فتنته أشد فتنة على الإطلاق منذ خلق آدم إلى قيام الساعة: {مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فِتْنَةٌ أَكْبَرُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ} (مسند أحمد، كتاب أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين) ومع أنه كان يستعيذ من فتنته في كل صلاة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو وَيَقُولُ: {اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ} (صحيح البخاري، كتاب الجنائز). أما ادعاء البعض أن إقرار النبي ﷺ بأن ابن صياد كان الدجال دليل على أنه رجل فهذا لا يحمل على هذا المحمل، بل المقصود أن ابن صياد نفسه كان دجالا – مع أنه قد تاب لاحقا وأسلم– ولكنه لم يكن الدجال المعهود الذي تذكره الأحاديث الأخرى، كما أن هذا لا يفيد أن الدجال المعهود رجل آخر. وقد جاء في حديث النبي ﷺ إشارات إلى أن الدجال قوم وأنهم سيخرجون بعد فتح الروم ومنها: {تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ

القساوسة والفلاسفة والمفكرون المتعصبون – التي ستسعى لترويج المسيحية المحرفة المزورة، وهي التي ستحمل عقيدة الصليب الفاسدة، وستروج للخنزيرية والإباحية، وهي التي ستشن عدوانا على الإسلام بالشبهات والحجج المزورة والتي يريدون بها إبطال الإسلام والإساءة إلى النبي ﷺ. وهذه الأمة ستعمل على الدجل والتحريف والتزوير وطمس الحقائق، ومحاولة إظهار المسيحية المحرفة

تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ قَالَ فَقَالَ نَافِعٌ يَا جَابِرُ لَا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ} (صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة)، وجاء في حديث نافع نفسه في سنن ابن ماجه لفظ {ثُمَّ تُقَاتِلُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ} (سنن ابن ماجه، كتاب الفتن) تأكيدا على أن الدجال قوم كما كان العرب والفرس والروم. وقد فُتحت الروم بسقوط القسطنيطينة عام ١٤٥٣م، وبعدها بدأ الغرب المسيحي بحركة الاستكشاف الجغرافي والاستعمار، وبعدها بفترة وجيزة طُرد المسلمون من الأندلس واكتُشفت أمريكا في عام ١٤٩٢م، ثم انتقل الغرب لاحتلال البلاد الإسلامية حتى بلغ الاستعمار أوجه في نهاية عصر الخلافة العثمانية. كذلك نرى أن النبي ﷺ قد وجه في الحديث إلى فواتح وخواتم سورة الكهف للاستعاذة من الدجال، ونجد أن فواتح سورة الكهف تحوي إنذارا للقوم الذين قالوا اتخذ الله ولدا ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (الكهف: ٥) وخواتمها تنبئنا عن القوم الأخسرين أعمالا والذين يقول الله تعالى عنهم: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٥). فيثبت من كل ما سبق بوضوح أن الدجال هم قوم، بل ويتبين من القرآن الكريم والحديث الشريف مَن هم ووقت خروجهم.

وكأنها هي الحق رغم ما تحتويه من فساد وتناقضات[٣٤]، ومحاولة إظهار الإسلام وكأنه الشرُّ بعينه. وأما ما جاء من أوصاف الدجال[٣٥] وخروج يأجوج ومأجوج[٣٦] معه ودابته وقدراته وأعماله ومسيرته ومكثه فإنما هي نبوءات

---

[٣٤] لا يقتصر عمل الدجال على ترويج المسيحية المحرفة فحسب، بل يسعى أيضا بالخبث والدجل والتزوير لترويج الفكر الإلحادي فرارا من التناقضات ونقاط الضعف في العقيدة المسيحية. ومن معاني أنه مسيح دجال أنه يبطن المسيحية أحيانا دجلا ويظهر بثوب الملحد العلماني النافر من الأديان كلها والكافر بالإله، وما يهمه هو محاربة الإسلام والإله الحق. لذلك فالفكر الإلحادي هو داخل في نبأ المسيح الدجال أيضا.

[٣٥] ورد في الأحاديث تفاصيل كثيرة عن المسيح الدجال، وجاء فيه أنه رجل أعور العين اليمنى أو ممسوحها – وأحيانا أعور العين اليسرى- وعينه اليسرى كأنها عنبة طافية أو كأنها كوكب دري أو كأنها زجاجة خضراء، وأنه مكتوب على جبينه كافر يتبينه المؤمن القارئ وغير القارئ، وأنه يأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت، وأنه يأمر خيرات الأرض فتتبعه كيعاسيب النحل، وأنه يشق الرجل نصفين ثم يعيده مرة أخرى، وأن معه كمثل الجنة والنار، كما ورد أنه سيأتي على حمار هائل يسبق الشمس إلى مغربها ولا يعرف قبله من دبره. كما ذكر النبي ﷺ حديث تميم الداري رضي الله عنه الذي رآه في رؤيا في جزيرة موثوقا في كنيسة. بالنظر في هذه الأحاديث وتأويلها على ضوء أن الدجال سيكون تلك الأمم المسيحية التي ستحمل المسيحية المحرفة والإلحاد، فسيتم اكتشاف جوانب عديدة ونبوءات تفصيلية مبهرة تؤكد صدق النبي ﷺ.

[٣٦] كذلك نشأت خرافات كثيرة حول قوم يأجوج ومأجوج، والواقع أنهم ليسوا سوى الأقوام الأساسية التي ستشكل الكيانات السياسية والقوى العسكرية للمسيح الدجال، والذين كانوا

تفصيلية عما سيحوزه من تقدم علمي، وما سيصنعه من وسائل مواصلات، وعن تحركاته وأبرز الأماكن التي سيقوم فيها بأعمال لها وقعها، والزمان والأماكن التي سيلقى فيها الهزيمة.

وأما وصْف المسيح الموعود بأنه حكم عدل وأنه هو الإمام المهدي، فهذا يعني أنه سيأتي عند فساد الأمة وفُرقتها، وسيحكم فيما اختلفت فيه الأمة، وينشئ الفرقة الناجية، وأنه هو الوحيد الذي سيكون مهديا من الله في زمنه من

من قبل أقواما همجيين يعيشون على السلب والنهب، ثم بنى ذو القرنين الذي هو قورش الفارسي سدا في المضيق الجبلي (مضيق دربند) الذي كانوا يتسللون منه للسلب والنهب في شمال آسيا، فاضطروا إلى الذهاب بعد ذلك إلى شمال أوروبا وغربها. وكان مقدرا أن يعودوا إلى سلبهم ونهبهم بعد قرون طويلة حاملين المسيحية المحرفة، وسيكونون يومها على قمم التقدم في العلوم والمهارات: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٧) بعد أن تخلصوا من الهمجية ظاهريا وتحضروا وتقدموا وبدأوا يمارسون همجيتهم بصورة أخرى. والأوروبيون يقرُّون بأنهم من سلالة هؤلاء الأقوام. ويمكن الاطلاع على مزيد من التفاصيل في التفسير الكبير للخليفة الثاني مرزا بشير الدين محمود أحمد ﷺ في تفسير سورة الكهف. وقد ذكر القرآن الكريم يأجوج ومأجوج ولم يصرِّح بذكر الدجال توجيها إلى أن الدجال الذي ذكرته الأحاديث هو قوم وليس رجلا واحدا؛ وهم هؤلاء القوم. لذلك جاء توجيه النبي ﷺ إلى قراءة خواتم سورة الكهف التي جاءت مباشرة بعد ذكر قصة يأجوج ومأجوج لربط الحديث بالقرآن الكريم.

بين زعماء المسلمين وأئمتهم؛ أي يكون مكلفا من الله وموجها بوحيه[٣٧].

وأخيرا نجد أن هذه النبوءات قد رسمت لنا صورة واضحة عن وقت المبعوث السماوي الذي سيكون ممثلا ونائبا وخليفة للنبي ﷺ في بعثته الثانية، وعن مقامه العظيم بسبب فنائه واتباعه للنبي ﷺ اتباعا كاملا، وعن صفته بأنه سيكون المسيح الموعود لكونه مثيل المسيح في الأمة الإسلامية، وأنه سيكون الإمام المهدي والحكم والعدل الذي سيؤسس الفرقة الناجية التي ستكون مثيلة لجماعة الصحابة وملحقة بها والتي ستنشأ فيها الخلافة الراشدة على منهاج النبوة وتستمر إلى الأبد. وكذلك عن وقت هذه البعثة وظروفها وأحوالها بصورة متكاملة.

وبالنظر إلى كل ما سبق، فإننا لن نجد بُدًّا من الإقرار بأن الوقت هو وقت

---

[٣٧] وصَف القرآن الكريم الأنبياء بأنهم أئمة مهديون، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء: ٧٣-٧٤) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤-٢٥) ولهذا فإن وصف المبعوث في الأمة بأنه إمام مهدي إنما يدلُّ على أنه يحوز مقام النبوة، ويكون مكلفا من الله ومهديا بوحيه- وإن لم يلقَّب بالنبي ولقِّب بالمسيح الموعود والإمام المهدي، وهذا لأن خاتم النبيين ﷺ هو النبي الكامل الذي تعدّ النبوات كلها مقابله مجازية، وأن نبوة المسيح الموعود والإمام المهدي في الواقع هي إظهار وبروز لنبوة النبي ﷺ وليست نبوة جديدة.

المبعوث والظروف هي تلك الظروف التي أنبأت بها النبوءات، وأنه لا بد بأن يكون المبعوث قد جاء، وقد قام بهذه المهمات كلها، وأنه لا مجال للتسويف والظن بأن المبعوث سيأتي فيما بعد، فهذا إنكار للأمر الواقع الذي لا مجال لإنكاره.

وبالنظر بعين التدبر، مستعينين بالله تعالى، لن نملك سوى الإقرار بأن هذه النبوءات قد تحققت في الجماعة الإسلامية الأحمدية وحدها، ولن نجد ما يماثلها في هذا التطابق المذهل من قريب أو بعيد، تلك الجماعة التي أسسها الرجل الفارسي نائب النبي ﷺ في بعثته الثانية حضرة مرزا غلام أحمد القادياني المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام، والذي جاء وفقا للوقت والظروف التي رسمتها النبوءات، والذي قام بالمهام التي ذكرتها تلك النبوءات، والذي قامت في جماعته الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وقامت ولا تزال تقوم بالأعمال والمهام التي كان يقوم بها صحابة النبي ﷺ تحت الخلافة الراشدة.

الفصل الثاني

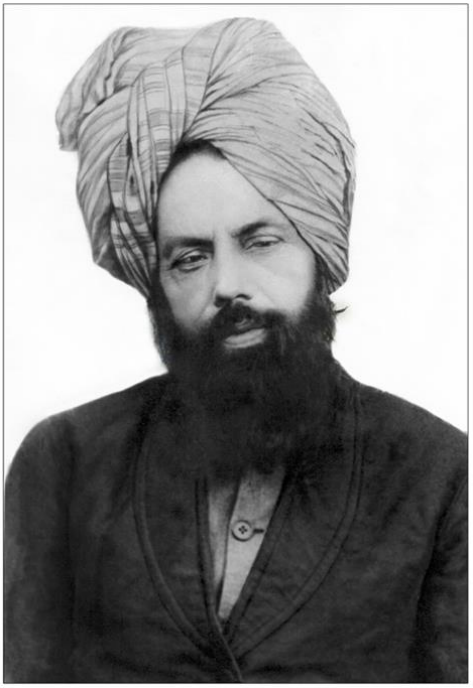

مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية

مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام

هذا رجلٌ يحبّ رسولَ الله ﷺ

(البراهين الأحمدية، الجزء الرابع، الخزائن الروحانية، مجلد أول، ص ٥٩٨، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

في الوقت الذي كان الإسلام يتعرَّض فيه إلى أشد الهجمات في الهند، وأخذ المسيح الدجال، متمثلا في القساوسة النصارى، على عاتقه مهمة القضاء على الإسلام في تلك البلاد التي يوجد فيها أكبر عدد من المسلمين – بعد أن دخلها الاستعمار الغربي الذي انتهى بسيطرة الاستعمار البريطاني على شبه القارة الهندية كلها بعد سقوط الدولة المغولية والممالك الصغيرة التي كانت تحكم البلاد– وبعد أن وصلت مكايد المسيحيين ذروتها، وجمعوا عمل المستشرقين الذين عكفوا على دراسة الإسلام بنيَّة نقضه منذ قرون؛ أخرج الله لهم بطل الإسلام، ذلك الرجل الفارسي الموعود، نائب النبي ﷺ في بعثته الثانية، الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام الذي تصدى لهم، وأفشل خطتهم فشلا ذريعا، بل وطاردهم وما زالت جماعته تطاردهم في كل مكان في العالم، لإثبات صدق الإسلام والنبي ﷺ، وتفنيد شبهاتهم الواهية، وتبيان فساد عقيدتهم.

وقد جاء طبقا للنبوءات ومصداقا لها، وقام بكل المهام والأعمال التي حددتها النبوءات خير قيام، ووضع الله تعالى ببعثته الأساس لانتصار الإسلام الموعود في آخر الزمان، الذي سيبلغ أوجه، حتى يظهر الإسلام على الدين كله وفقا لوعد الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح: ٢٩). وهذا ما بدأت بشائره تهلُّ وتظهر يوما بعد يوم بفضل الله تعالى ورحمته.

مولده

ولد عليه السلام في قرية قاديان في إقليم البنجاب يوم الجمعة ١٣ شباط ١٨٣٥م الموافق لـ ١٥ شوال ١٢٥٠هـ لأسرة شريفة من أصول فارسية كانت تحكم مقاطعة تضم قرية قاديان وأكثر من ثمانين قرية أخرى تحت حكم الإمبراطورية المغولية.

كان أحد أجداده، واسمه ميرزا هادي بيك، قد هاجر في أواخر القرن السادس عشر الميلادي لأسباب مجهولة من سمرقند واستقر في تلك المنطقة من الهند ومعه عشرات من أقاربه وحاشيته، وأسس قرية في تلك المنطقة أسماها "إسلام بور" (أي مدينة الإسلام)، وكان شخصا حاذقا وحكيما فعُيِّن قاضيا من قبل الحكومة المركزية المغولية في دلهي، وبعد ذلك أصبحت قريته تدعى قرية القاضي (قاضي إسلام بور)، ثم جرت على الألسنة باسم قاديان للسهولة، ثم أصبح هذا اسمها.

كان مرزا هادي بيك يحكم هذا الإقليم الذي تبلغ مساحته ما يقارب ١٠٠ كم٢ وتقع ضمنه قرية قاديان، وكان هذا الإقليم منيعا إلى فترة من الزمن تحت حكم سلالة مرزا هادي بيك من بعده، حتى تعرَّض بعد ذلك لعدوان السيخ الذين سلبوا معظم الإقليم ونجحوا أخيرا في اجتياح قاديان نفسها في زمن جد

والد المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام، وقد تعرَّض المسلمون في الإقليم في ذلك الوقت إلى ابتلاء شديد، حيث قتِّلوا بلا هوادة وتحولت مساجدهم إلى اصطبلات للخيول ومنعوا من رفع الأذان.

وبقي الحال صعبا إلى أن دخل المنطقة الاستعمار البريطاني، الذي أتاح الحريات الدينية –التي تحت نطاقها كان القساوسة يعملون– وعاد المسلمون لرفع الأذان وإقامة الصلوات بحرية، وأصبح متاحا للجميع أن يناقشوا مبادئ أديانهم وعقائدهم ويدعوا الآخرين إليها.

نشأته ومسيرته ودعواه

كان عليه السلام منذ صغره معروفا بحسن الخلق وبالصدق والأمانة، ميالا إلى العزلة، وكان مواظبا على الصلوات في المسجد معلقا قلبه به. اهتم والده بتعليمه بأن هيأ له معلمين ليعلموه مبادئ اللغة العربية والفارسية، ودرس أيضا بعض كتب الحديث على يد معلميه، ودرس أيضا بعض الكتب الطبية التقليدية على يد والده الذي كان طبيبا حاذقا.

كان يقضي معظم أوقاته في قراءة القرآن الكريم وكتب الحديث وغيرها من الكتب الدينية، وكان منقطعا لدراستها إلى درجة أن كثيرا من الناس من أقاربه ومن أهل القرية لم يكونوا يعرفونه ولم يروه إلا نادرا. وإضافة إلى هذه الكتب فقد درس الكتاب المقدَّس دراسة تفصيلية ليكون قادرا على الرد على المسيحيين الذين يهاجمون الإسلام ويثيرون الشبهات حوله. ودرس أيضا كتب الديانات الأخرى كالهندوسية، التي بدأت فِرق منها بمهاجمة الإسلام تأثرا بالهجمة المسيحية، وأرادت أن تعمل على إعادة المسلمين إلى دين أجدادهم، حسب زعمهم.

كان عليه السلام يرى الحال التي آل إليها الإسلام، ويشعر بالأسى واللوعة، ويقضي لياليه باكيا في الدعاء والابتهال إلى الله تعالى كي يعيد الإسلام إلى مجده، خاصة وأن أعداء الإسلام قد تقاطروا من كل حدب وصوب للهجوم

عليه وإعلان موته. وكان قلبه عامرا بالإيمان بصدق الإسلام وصدق سيده ومطاعه النبي ﷺ، وكان حب النبي ﷺ يترشح من كل ذرة من كيانه.

كان له أخ كبير اسمه "مرزا غلام قادر" كان منهمكا مع والده في مشاغل الأسرة وأملاكها، أما هو، فبسبب انصرافه عن هذه الأعمال، كثيرا ما كان والده يبدي القلق على مستقبله، لأنه لا يهتم بالدنيا ولا بشئونها. فأراد والده أن يدفعه دفعا، فكلَّفه بمتابعة قضاياه التي كان يرفعها أملا في استرداد أملاك الأسرة. قام عليه السلام بمتابعة هذه القضايا طاعة لوالده، ولكنه لم يكن راغبا في هذا العمل. حتى إنه ذات مرة كان قد خرج من المحكمة مسرورا، فسأله مَن رأوه، هل كسبت القضية؟ قال: لا، ولكني مسرور أنِّي قد انتهيت منها والآن سأتفرغ للعبادة! وفي مرة من المرات طلب خصوم والده شهادته في قضية رفعها والده، وكان هو يتابعها بنفسه، وهذا لعلمهم بصدقه وأمانته، فسأله القاضي إن كان يرى أن الحق مع والده أم مع خصومه من المزارعين، فقال إنه يرى أن الحق معهم! فحكم القاضي ضد والده. ولما علم والده بالأمر غضب منه وطرده من البيت، ولكنه بعد فترة استدعاه ورضي عنه وقدَّر أنه لم يترك الصدق والأمانة مع أنها كانت سببا في خسارة القضية.

وفي سعيه الحثيث لدفعه للانخراط في شئون الدنيا، استطاع والده أن يؤَمِّن له وظيفةَ كاتب في المحكمة في سيالكوت، فالتحق عليه السلام بهذا العمل ارضاء لوالده

وطاعة له. وكان عمله فرصة للقاء بفئات مختلفة من الناس، ورأى جشع الناس وانكبابهم على الدنيا، كما التقى بعدد من المسيحيين من القساوسة والمبشرين وتناقش معهم. وقد أدى نقاشه معهم إلى إدراكهم ما كان يتمتع به من فهم واسع للإسلام ومن اطلاع على دينهم ومقدرته على تفنيد حججهم من كتبهم، مما خلق في قلوبهم احتراما وتقديرا له رغم معارضتهم له.

كان يقضي بقية يومه وليلته بعد عمله في بيته عاكفا على العبادة والدراسة. وذات مرة حاول البعض التجسس عليه لرؤية ما الذي يفعله، بعد أن سمعوا صوت بكائه في غرفته، فرأوه ممسكا بالقرآن الكريم ويبتهل إلى الله تعالى ويقول بما معناه: اللهم أليس هذا كتابك؟ أليس هذا كلامك؟ اللهم أفهمنيه فإنه لا سبيل لفهمه إلا بتفهيمك. اللهم أظهر صدقه وصدق نبيِّك وانصر الإسلام بفضلك وبرحمتك!

وبعد أن قضى ما يقارب أربع سنوات في سيالكوت طلب منه والده أن يستقيل ويعود إلى قاديان، فعاد مسرورا، واستمر في الانقطاع للدراسة والعبادة والدعاء.

مع أن والده كان قلقا عليه لأنه لم يكن مهتما بشئون المعاش، إلا أنه كان يعلم في قرارة قلبه أنه كان يقوم بالشيء الصحيح، وكان يعبِّر عن ذلك أحيانا، ويقول بأن الدنيا بما فيها زائلة، وأن الانقطاع للعبادة وللعلم هو العمل

الصحيح الذي يكسب الإنسان الفلاح والنجاح. فكان يسعى ليؤمِّن له كل ما يلزمه من شئون معاشه.

كانت أمارات التقوى والصلاح قد بدأت تظهر عليه بصورة جليّة؛ فكان منذ نعومة أظفاره مستجاب الدعاء، ويرى الرؤى الصادقة والكشوف التي يُطلع فيها على أنباء غيبية، وقد شهد على تقواه وصلاحه واستجابة دعائه وإخباره عن أنباء الغيب من كانوا حوله من الأقارب ومن أهل القرية ومن غير المسلمين كالهندوس والسيخ، وكان يحظى بسبب ذلك بحب واحترام وتقدير. وقد سجل عليه السلام في بعض كتبه لاحقا[٣٨] هذه عددا كبيرا من هذه التجارب بذكر الشهود الذين كانوا أحياء في حينه، وذلك للتأكيد على أنه يتلقى الوحي من الله تعالى، وأن الله كان ولا يزال يكلِّم أولياءه ومحبيه، وأن هذا الينبوع من الوحي منقطع من كل الأديان سوى الإسلام.

وفي اليوم الأخير من حياة والده، تلقى حضرته وحيا من الله نصُّه: **والسماء والطارق**. فعلم أن المقصود أن والده سيتوفى بعد الغروب، فشعر بشيء من القلق لأن والده هو الذي كان متكفلا بمعاشه، وبوفاته ستنقطع ظاهريا سبل العيش عليه. فما أن طرأت هذه الفكرة على ذهنه حتى تلقى

[٣٨] من هذه الكتب التي تذكر هذه الشهادات "حقيقة الوحي"، "نزول المسيح"، و "ترياق القلوب"

وحيا آخر يقول: **أليس الله بكاف عبده؟** فشعر بأن الله تعالى يطمئنه بأسلوب العتاب بسبب هذه الفكرة التي طرأت له، ويعده بأنه سيتكفَّل بشئونه. وبالفعل توفي والده في تلك الليلة، وكان قلبه عامرا بالإيمان والطمأنينة بتحقق وعد الله معه، فأرسل لاحقا أحد الهندوس ليصنع له خاتما منقوشا عليه هذا الوحي، الذي يطابق آية كريمة، ليكون تذكارا له بأن الله تعالى معه ولن يتركه، وليكون هذا الهندوسي شاهدا عليه أيضا.

وبعد وفاة والده آلت شئون الأسرة إلى أخيه الكبير، ومع أنه كان حنونا عليه أيضا، إلا أنه كان يقضي معظم أوقاته خارج القرية، وكان كثير الانشغال وحاز على منصب حكومي رفيع، وقد وكَّل زوجته أن تهتم بشئونه وتؤمِّن له ما يحتاج إليه. ومع أنه كان وارثا لنصف الأملاك، وكان يمكن أن يطالب بها، إلا أنه قال لأخيه إنه لا يريدها الآن، وكل ما يريده هو تأمين طعامه ومصروفاته البسيطة ولباسا واحدا في الشتاء وآخر في الصيف.

كانت زوجة أخيه لا تهتم باحتياجاته بما فيه الكفاية، وكانت ترسل له فضلة الطعام الذي كان من طعام أسرتها، ولكن حضرته لم يكن يهتمُّ بذلك. وقد ذكر هذا الأمر ذات مرة في بيت شعر له يذكر فيه أفضال الله تعالى:

لفاظات الموائدِ كان أُكلي وصرتُ اليومَ مطعامَ الأهالي

واستمر به الحال على هذه الشاكلة، وبدأ في ظل هذه الظروف الصعبة

مسيرته في الدفاع عن الإسلام.

الدفاع عن الإسلام وكتاب البراهين الأحمدية

في البداية كان عليه السلام ينشر مقالاته في الجرائد، ولكنه لما رأى أن أعداء الإسلام يزدادون هجومًا على الإسلام، وأنّ المسلمين يندحرون أمام هجماتهم، فارت في قلبه الغيرة على الإسلام، وعزم مأمورًا بوحي الله تعالى على تأليف كتاب يحوي أصولَ صدقِ الإسلام التي تُعجز المعارضين فلا يجرؤون على تحدي الإسلام، وإن لم يرتدعوا وتحدّوا الإسلام بعدها فسيكون بإمكان كل مسلم أن يردّ على هجماتهم بتلك الأصول. فبهذه النية والعزيمة بدأ يؤلف ذلك الكتاب العظيم الذي عُرف بالبراهين الأحمدية، وكان اسمه "البراهين الأحمدية على حقيَّة كتاب الله القرآن والنبوة المحمدية". فلما اكتمل الجزء الأول منه طلب من المسلمين في البلاد المساعدة في نشره، فنشر الجزء الأول منه –الذي كان إعلانا لنشر هذا الكتاب– بواسطة الإعانة المالية لبعض المسلمين الذين كانوا قد اعترفوا بجدارته لاطلاعهم على مقالاته.

فلما نشر هذا الجزء من الكتاب أثيرت ضجة في البلاد كلها. ومع أنه كان إعلانا عن الكتاب، إلا أنه أيضا قد حوى ذِكْر بعض الأصول الرائعة لإثبات صدق الإسلام بحيث ترسخت توقعات عظمة الكتاب لدى كل من اطلع

على هذا الإعلان. ولقد ذكر فيه عليه السلام أنه لو استطاع تابعُ أي دين من الأديان أن يقدم من دينه مثل مزايا الإسلام التي سيقدمها حضرته أو نصفها أو ربعها فسيسلِّم له كلَّ عقاراته التي كان ثمنها في ذلك الوقت يبلغ عشرة آلاف روبية تقريبا. (وهذه هي المناسبة الوحيدة التي استفاد فيها من ميراثه وجلّ عقاراته وكانت في سبيل إثبات مزايا الإسلام، حيث وعد بتقديمها جائزةً حتى يتحفّز أتباع الأديان الأخرى للخروج إلى ميدان النزال فيثبت في النهاية انتصار الإسلام).

نُشر الجزء الأول من هذا الكتاب في ١٨٨٠، ثم نُشر الجزء الثاني في ١٨٨١ والثالث في ١٨٨٢ والرابع في ١٨٨٤.

بعد نشر هذا الكتاب اضطر أصدقاؤه وأعداؤه إلى الاعتراف بجدارته وكفاءته العلمية، ورُعِب أعداء الإسلام إلى درجة أنّه لم يستطع أحد منهم الردَّ عليه. أما المسلمون فقد فرحوا إلى درجة أنهم باتوا يعدّون مؤلّفه مجدّدًا، كما اعترف العلماء الكبار في عصره بعلمه وفضله؛ فكتب الشيخ محمد حسين البطالوي الذي كان زعيم فرقة أهل الحديث، أي الوهابيين، مقالا طويلا تقريظًا لهذا الكتاب وأيّده أيّما تأييد، وقال بأنه لم يُؤلَّفْ في تأييد الإسلام كتابٌ مثله خلال القرون الثلاثة عشر الماضية، وقد كان هذا الشيخ يحتل بين العلماء مكانة كبيرة، وكان في الأصل صديق طفولة له، وقد أبدى في شهادته عنه عند

صدور البراهين الأحمدية أنه صدوق تقيٌّ ملتزم بتعاليم الإسلام منذ نعومة أظفاره.

كان تأليف هذا الكتاب بتوجيه من الله تعالى، وهذا ما أعلنه حضرته في بدايته؛ ثم بيَّن أثناءه أنه مأمور من الله تعالى، وأن الله قد كلَّفه بمهمة الدفاع عن الإسلام وأنه هو مثيل المسيح، وأن الأعمال التي جاءت الأنباء عنها في الأحاديث الشريفة تخصه هو- مع أنه لم يكن إلى وقتها قد أوحي إليه أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام قد توفي، وأنه ليس حيًّا في السماء؛ حيث كان هذا ما يعتقده عليه السلام بسبب رواج هذه العقيدة، لا بسبب أنه قد تبناها بعد فحص وتمحيص. وكان هذا منهجه بأنه لا يقول بشيء جديد إلا بما يوحي له به الله، ولا يتكلم إلا بإذن الله، وهذا كان دأْبه كما كان دأب الأنبياء والمبعوثين دوما.

لم يستطع أحد من أتباع الأديان الأخرى الرد على الحجج القوية التي في هذا الكتاب، وأدى هذا الكتاب إلى ذيوع صيته في الهند كلها بل خارجها. وجاءه المريدون وطلبوا منه أن يبايعوه إماما ومرشدا، ولكنه رفض أخذ البيعة، وقال بأن الله تعالى لم يأمره بأخذ بيعة أو تأسيس جماعة بعد. كان من الذين جاءوا يطلبون البيعة منه أحد كبار علماء المسلمين في الهند الشيخ الطبيب نور الدين

القرشي[٣٩]، الذي كان عالما كبيرا وعابدا تقيا يرجع نسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد عمل طبيبا لمهراجا كشمير، وكان ذائع الصيت والشهرة في الهند كلها. وبعد قراءته لكتاب البراهين الأحمدية أدرك علوَّ كعبه عليه السلام وأنه بلا شك مأمور ومكَّلف من الله تعالى وجاءه طالبا البيعة، فلما أخبره بأنه لم يؤمر بعد بأخذها قال له إنه سيتركه على أن يعده أن يكون أول مبايع حين يأمره

[٣٩] من الجدير ذكره أيضا، أن أكبر عالم في أفغانستان الذي كان يتمتع بمكانة مرموقة في البلاد كلها ولدى البلاط الملكي، وهو الصاحبزاده عبد اللطيف، قد سمع عن حضرته لاحقا، وقرأ بعض كتبه، ثم أرسل أحد طلابه لتقصي الأمور في قاديان، فجاء ومكث وبايع حضرته عليه السلام وعاد إلى أستاذه ليخبره بما رأى وسمع، فقرر الشيخ عبد اللطيف أن يذهب بنفسه للقاء حضرته عليه السلام، وزاره بالفعل، وصدقه وبايعه، ثم تلقى الشيخ عبد اللطيف وحيا أخبره بأنه سيقدِّم رأسه في سبيل إيمانه، ولكنه عاد إلى أفغانستان بعد أن ودعه حضرته عليه السلام. وواجه هناك أشد العذاب والإهانة لينكر إيمانه وتصديقه للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام رغم ما كان يتمتع به من مكانة مرموقة واحترام، ولكنه لم يبالِ، وانتهى الأمر بإعدامه رجما بعد أن ثبت ولم يتراجع قيد شعره، وكان تلميذه قد أعدم من قبل في السجن أيضا، وبهذا كانا الشهيدين الأوليين في الجماعة، وقد ذكر حضرته تفاصيل استشهادهما في كتابه "تذكره الشهادتين". إن إيمان أكبر عالمين في الهند وأفغانستان إنما هو شهادة على أن العلماء الربانيين الحقيقيين لم يملكوا إلا أن يقروا بصدقه بعد نصاعة الأدلة والبراهين. وقد آمن بحضرته أيضا عدد لا بأس به من العلماء الربانيين ذوي الشهرة في الهند وأصبحوا من أصحابه المخلصين.

الله تعالى بذلك، فأعطاه هذا الوعد، وهذا ما كان.

أخذ البيعة وتأسيس الجماعة

تلقى حضرته أمرا من الله تعالى بأخذ البيعة، بعد فترة اعتكاف قضاها في مدينة هوشياربور، ثم أخذ البيعة الأولى في منطقة لدهيانة، في ٢٣ آذار ١٨٨٩، وقد بايعه يومها أربعون من مريديه، كان أولهم الشيخ الطبيب نور الدين القرشي. وبذلك تأسست رسميا الجماعة الإسلامية الأحمدية. وبذلك فقد تحققت النبوءة الأولى التي ذكرها القرآن الكريم في سورة الجمعة؛ وهي تأسيس جماعة الآخرين على يد الرجل الفارسي الذي سيعيد الإيمان من الثريا بعد أن يكون قد ارتفع من الأرض.

إعلام الله تعالى له بوفاة المسيح وأنه هو المسيح الموعود نزوله

في أواخر عام ١٨٩٠ أخبره الله تعالى بأن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام قد توفي، وأن عقيدة حياته في السماء عقيدة فاسدة غير صحيحة، وأنه هو المسيح الموعود نزوله في الأحاديث. فأعلن هذا الإعلان، فكان لهذا الإعلان وقعٌ كبيرٌ على كل من المسلمين والمسيحيين، وبدأت مرحلة عظيمة من المعارضة الشديدة.

وبدأ في عام ١٨٩١ بكتابة كتب متعددة، أولها كتابه الذي هو ثلاثة كتب

مدبجة وهو "فتح الإسلام، توضيح المرام، إزالة الأوهام" بيَّن فيه حقيقة وفاة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وفنَّد فيها الأفهام الباطلة والعقائد الفاسدة، وبيَّن حقيقة دعواه وخطته للنهوض بالإسلام. كما كتب كتابا خاصا لاحقا بعنوان المسيح الناصري في الهند[٤٠] ضمَّنه أدلة كثيرة من القرآن الكريم والحديث الشريف والأناجيل وكتب الطب وكتب التاريخ تفيد بنجاة المسيح من حادثة الصلب ثم هجرته إلى البلاد الشرقية للقاء بني إسرائيل في أفغانستان وكشمير وغيرها، ثم وفاته ودفنه في كشمير في القبر الذي هو هناك، والذي كان يُدعى "ضريح يوزآسف"، حيث بيَّن بأن "يوز" إنما هي تحريف لكلمة يسوع أو عيسى، و"آسف" تعني الحزين، مع أنها أيضا تعني المجمِّع باللغة المحلية.

وأوضح من خلال كتبه أنه هو الرجل الفارسي الذي ذكره النبي ﷺ في نبوءة بعثته الثانية في سورة الجمعة، وأنه هو المسيح الموعود والمهدي المعهود، وأنه هو الحكم العدل الذي سيحكم في اختلافات المسلمين وينشئ الفرقة الناجية، وأن النبوءات كلها تنطبق عليه انطباقا تاما[٤١]. وكنا قد بينّا في الفصل الأول أن

---

[٤٠] يمكن الرجوع إلى هذا الكتاب لمزيد من التفاصيل

[٤١] إضافة إلى النبوءات في الإسلام عن الموعود المنتظر، فإن عقيدة المصلح المنتظر الذي سينصر الدين عند بعثته في آخر الزمان هي عقيدة موجودة في كل الأديان بصورة عجيبة. والعجيب أن الوقت الموعود في تلك الأديان متقارب جدا أيضا. وقد أوضح حضرته بوحي من

النبوءات إنما تشير إلى بعثة واحدة وشخص واحد وجماعة واحدة ينشئها، وأنها قد وردت في صور مختلفة لتبيان الجوانب والظروف المختلفة للبعثة، وأن الوقت هو الوقت دون أدنى شك. فإذا اجتمع الوقت مع تفرَّد حضرته بالإعلان أنه المصداق لهذه النبوءات كلِّها[٤٢]، وبإدراك أنه قد أنجز ما كان مطلوبا منه وفقا للأنباء، فهذا وحده يعتبر دليلا شاملا كافيا على صدقه.

الله تعالى أن هذه النبوءات جميعها إنما تشير إلى مبعوث واحد في دين واحد وهو الإسلام، وهي تشير إلى حضرته عليه السلام وتنطبق عليه، وقدَّم حضرته هذه الإشارات والنبوءات وكيفية انطباقها عليه- وخاصة في الكتاب المقدس المتعلقة بالمسيَّا أو المسيح عند اليهود وعودة المسيح عند النصارى- في عدد من كتبه، كما أوحى له الله تعالى أنه كرشنا الموعود للهندوس، وهو بوذا القادم للبوذيين، والموعود عند الزرادشتيين وغيرها من الأديان. إن وجود هذه الأنباء في الأديان كلها إنما يؤكد منطقيا أمرين؛ الأول هو أنه لا بد أن يكون هذا النبأ صحيحا، والثاني هو أنه يستحيل أن يكون لكل دين موعود منفصل، بل لا بد أن يكون الموعود واحدا لكل هذه الأديان. والواقع أن هذه هي الخطة الإلهية الحكيمة لنصرة الإسلام وانتشاره في العالم أجمع، فقد أودع الله تعالى هذه الأنباء في الأديان وحافظ عليها لكي تسهل على أتباع الأديان قبول الإسلام والدخول فيه عند نشأة الإسلام الثانية الموعودة.

[٤٢] بسبب إدراك كثيرين أن الوقت هو الوقت، فقد ظهرت دعوات مهدوية كثيرة حوالي زمن دعواه عليه السلام. ولكن لم يدَّعِ أحد أنه المسيح الموعود أو الرجل الفارسي، ولم يقدم أحد توضيحا شاملا كما قدَّم حضرته. إضافة إلى ذلك فقد اندثرت الدعوات الأخرى كلها ولم تبق سوى دعوته وجماعته.

مؤلفاته

إضافة إلى ما ذكرنا فقد كتب عليه السلام العديد من الكتب وصل عددها إلى ما يربو على ثمانين[٤٣] كتابا ضمَّنها دعوته، وردوده على أعداء الإسلام، والمسيحية خاصةً، وتفنيدا لعقائدهم، وبيَّن فيها مبادئ الإسلام الحقَّة، وطهَّر الفكر الإسلامي من الشوائب والأفكار الوحشية التي أدت إلى الفساد الأخلاقي والهمجية، كفكرة الجهاد العدواني[٤٤] التي انحرفت وأصبحت لا تمت إلى الإسلام

[٤٣] مجموعة تحت اسم "الخزائن الروحانية" تتضمن زهاء ٢٢ كتابا باللغة العربية، والباقي بالأردية، وتتضمن أشعارًا بالعربية والفارسية والأردية.

[٤٤] كتب عليه السلام كثيرا في توضيح مفهوم الجهاد الحقيقي وتفنيد فكرة الجهاد العدواني. فقد بيَّن أنه قد حدث خطأ في فهم الجهاد تاريخيا؛ والذي معناه الحقيقي بذل كل جهد في سبيل إقامة الإيمان والتقوى والصلاح، والذي هدفه أن يصبح المسلم مسلما حقيقيا وأن يبذل كل جهد في نشر الإسلام وتبليغه بكل قوته. ولكن للأسف تم حصْره بمحاربة الكفار المعتدين وإحراز الغلبة عليهم، ولما تحققت هذه الغلبة في وقت من الأوقات، ولم يكن الأعداء قادرين على العدوان على المسلمين أو راغبين فيه، ولما أصبح المسلمون يحكمون بلادا شاسعة، جلسوا مطمئنين، ولم يلتفتوا إلى الجهاد الحقيقي الذي يعني أن من واجبهم تبليغ الإسلام ونشره في رعايا البلاد التي يحكمونها وفي العالم، مما أدى إلى بقاء الكفر، ثم تقوَّى أعداء الإسلام وحققوا الغلبة السياسية على المسلمين. وبيَّن حضرته أنه لو التفت المسلمون إلى الجهاد الحقيقي

بصلة، وبيَّن أيضا سبل القرب والعرفان الإلهي، وأكَّد أن الطريق إلى الله تعالى تحتاج إلى الفهم الصحيح وتقويم الإيمان والتزكية التي لا بد أن ينالها الإنسان بالالتزام بإمام زمانه، وأن مصاحبته والالتزام به وبجماعته تورث الإنسان القرب والعرفان الإلهي، ويصل بها الإنسان إلى اليقين المنشود الذي هو غاية

لكانت غالبية العالم الآن مسلمة، ولما حدثت هذه النكسة السياسية التي أصابت المسلمين. وبيَّن حضرته أن الجهاد وإن كان يتضمن القتال دفاعا مقابل العدوان ولرفع الظلم عن المظلومين، إلا أنه يتضمن أيضا إصلاح النفس والتبليغ ونشر الدعوة والدفاع عن الإسلام بالحجج والبراهين مقابل أكاذيب المعارضين وشبهاتهم وبذل المال والوقت في سبيل الله، ولكل نوع من الجهاد مناسبة. وبيَّن حضرته أن فكرة الجهاد قد تشوهت بشدة في هذا الزمان وانتشرت فكرة مسيئة للجهاد تقوم على أن من واجب المسلمين محاربة غير المسلمين بعلة كفرهم لا بعلة عدوانهم، وأن من واجبهم بسط سلطانهم ونفوذهم على العالم وإقامة دولتهم الإسلامية المزعومة، بل تطورت هذه الفكرة المسيئة للجهاد ليشمل أعمال الثورة والتخريب والتمرد والعصيان والانقلاب على الحكومات بحجة أنها غير مسلمة، والتربص والاعتداء على الآمنين وقتلهم واغتيالهم. وعندما طرح عليه السلام الفكرة الصحيحة عن الجهاد في ذلك الوقت لاقى معارضة شديدة من كثير من المسلمين، ولكن الآن أصبحت الغالبية العظمى من المسلمين تتبنى توضيحه وتقول بما قاله تماما.

الإسلام[٤٥].

وقد تضمنت كتب حضرته ذخيرة ثمينة من الحجج والبراهين القوية القاطعة التي تثبت صدق الإسلام وتفوُّق تعاليمه ومطابقتها للفطرة الإنسانية وقدرتها على إحداث تغيير كبير في سلوك البشر ورفعهم إلى أعلى درجات الرقي والتقدم الإنساني، كما تضمنت جملة من الردود على الأديان الأخرى، وبخاصة المسيحية، وتفنيدا للشبهات التي يثيرونها، وإبطالا لعقيدتهم بدلائل متعددة ومن كتبهم وتبيان تناقضها.

كذلك تضمنت كتبه عليه السلام جملة من المفاهيم العظيمة التي يحتويها الإسلام. ومن أهم المفاهيم التي بيَّنها حضرته هو المقام السامي العظيم للنبي ﷺ الذي هو خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين، وبيَّن بأن هذا المقام يعني أن النبي ﷺ قد نال الكمال البشري بما لا يُزاد عليه، وأن كل فضائل الأنبياء السابقين إنما وجدت فيه ﷺ في أبهى صورة وأكملها، وأن الأنبياء السابقين كانوا بمنزلة أظلال لصفاته، وأن قوته ﷺ القدسية ممتدة ومستمرة وقادرة على إحياء الموتى الروحانيين، وأنه ﷺ يرفع المؤمنين به المتفانين في حبه وطاعته إلى درجات

[٤٥] سئل الشيخ الطبيب نور الدين القرشي رضي الله عنه عما استفاده من بيعته المسيح الموعود عليه السلام وهو كان عالما كبيرا ووليا مقربا فقال: كنت قبل بيعته ألتقي النبي ﷺ عليه وسلم في المنام، والآن ألقاه في اليقظة!

الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وفقا لما يؤكده القرآن الكريم، كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٧٠)

ومع أنه لا نبوة مستقلة بعده ﷺ، ولا دين ولا كتاب ولا رسالة إلا رسالة الإسلام، إلا أن هذا المقام العظيم كان ولا يزال في أمته، وأنه عليه السلام قد نال هذا المقام ببركة اتباعه للنبي ﷺ. ومع أن دعواه لا تتعلق بتوضيح هذا المفهوم ولا ترتكز عليه- لأن دعواه قائمة على أنه هو المسيح الموعود والمهدي المعهود والرجل الفارسي الذي ينوب عن النبي ﷺ في بعثته الثانية- ولكن توضيحه لهذا المفهوم كان بهدف تبيان المقام المحمود المرموق الذي عليه النبي ﷺ الذي تفيض خاتميته وتصبِّغ أتباعه بصبغة الأنبياء وتعطيهم منازلهم ودرجاتهم ووحيهم ومعجزاتهم بل ما هو فوق ذلك، لأنهم أتباع خاتم النبيين ومظاهر لفيض نبوته ﷺ.

وقد ركَّز حضرته على أن الإسلام هو الدين الحي، الذي يوصل أتباعه إلى الله تعالى فينشئون علاقة به تعالى، ويحظون بالمخاطبة والمكالمة الإلهية وبالكرامات والآيات التي تدل على تأييد الله تعالى لهم ورضاه، وأن الأديان الأخرى إنما هي أديان ميتة، لا تقوم إلا على القصص الواهية، وليس فيها

ثمرات يانعة للعلاقة مع الله تعالى التي يتفرَّد بها الإسلام وحده.

وقد بيَّن حضرته في أحد كتبه، والذي كان خطابا أعده لمؤتمر الأديان العظمى في لاهور عام ١٨٩٦، ونُشر لاحقا في كتاب سُمي "فلسفة تعاليم الإسلام"[٤٦]، أن تعاليم الإسلام ترفع الإنسان من الحالة الهمجية إلى الحالة الإنسانية، ثم من الحالة الإنسانية إلى الحالة الأخلاقية، ثم من الحالة الأخلاقية إلى الربانية، وقدَّم فيه الأدلة الدامغة على نصاعة تعاليم الإسلام وقدرته على تخليص البشر من الحياة الآثمة وتحويلهم إلى ربانيين يحظون بحياة طاهرة ويتنعمون بنعيم الجنة في الدنيا والآخرة، وبيَّن الغاية من خلق الإنسان وكيفية تحقيقها، وحقيقة الجنة والجحيم، وعلاقتها بالحالة الأخلاقية، وأسرار الحياة بعد الموت وعالم البرزخ وعالم البعث، وغير ذلك من المعارف العظيمة. وقد حظي الخطاب أولا ثم الكتاب فيما بعد باهتمام كبير ولا زال، وكان عليه السلام قد أُنبئ بالوحي قبل إلقائه في المؤتمر بأنه سيفوق الخطابات كلها وسيكون له أثر عظيمٌ مبهر، وهذا ما كان.

ومن المفاهيم التي أوضحها حضرته في كتبه هو أن الإسلام إنما يعني التفاني والإخلاص في العبودية لله تعالى من ناحية، وكذلك في الإحسان إلى خلقه وخدمتهم من ناحية أخرى، لقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

[٤٦] يمكن الرجوع إلى هذا الكتاب العظيم لمزيد من التفصيل

فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١٣)، وأن الواجب على المسلم أن يفنى في حبِّ الله تعالى وطاعته وعبوديته، والتي لا تشمل أداء العبادات فحسب، بل تعني أن يعكس صفات الله الحسنى على خلقه بأن يتمثلها فيكون مظهرا لرحمة الله تعالى وكرمه وإحسانه وغير ذلك من صفاته، وأن يُسخِّر كل ما أوتي من قوى ونعم في خدمة بني البشر ونفعهم.

ومن المفاهيم العظيمة الأخرى التي بيَّنها حضرته هو أن تعاليم الإسلام يلخصها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩١). وهذا يعني أن ما يأمر به الإسلام هو تحقيق العدل أولا؛ والذي يعني أن نعطي كلَّ ذي حق حقه ولا نظلم أحدا، وأن نرد الإحسان بالإحسان إلى كل من أحسن إلينا؛ وردنا عليه سيكون من باب العدل لأنه أحسن إلينا أولا. ثم بيَّن حضرته أننا يجب ألا نتوقف عند العدل فحسب، بل يجب أن نسارع إلى الإحسان الذي هو المبادرة بالقيام بالحسنات تجاه الآخرين دون أن يكونوا قد أدوا إلينا إحسانا، وهذا يشمل أيضا أن نتجاوز عن سيئاتهم إحسانا إليهم. وبما أن الإحسان قد يورث الكبر والعُجب في النفوس، فالإسلام يأمرنا أن نتقدم في الإحسان إلى درجة إيتاء ذي القربى، والتي تعني أن نعامل الناس بالإحسان بعاطفة فطرية تلقائية كما تحسن الأم إلى أولادها، وهذه هي المرتبة

العليا من الحسنة التي يريدها الإسلام والتي لم يقدِّمها أي دين آخر من قبل.

وبيَّن حضرته أن الإسلام لم يكتفِ فقط بالحض على الحسنة، بل عمل على اجتثاث السيئة من أدناها إلى أعلاها. فالفحشاء عموما هي السيئة التي يرتكبها الإنسان وقد لا يطلَّع عليها أحد، وقد يظن البعض أنها حرية شخصية، ولكن القرآن الكريم يبين أنه من الواجب اجتثاث الفاحشة لأنها ستتطور إلى أن تصبح منكرا يراه الناس ويستنكرونه، ثم ستتطور إلى البغي الذي يعني السيئة التي فيها اعتداء على حقوق الآخرين وإيذاؤهم. فالواجب اجتثاث السيئات من الفاحشة إلى المنكر إلى البغي، والواجب التقدم في الحسنات من العدل إلى الإحسان إلى إيتاء ذي القربى، لكي يكون الإنسان محسنا حقيقيا. وبيَّن حضرته أن العدل هو أساس الأمن والسلام، وأن الأمن والسلام لن يقوم ولن يستقر إلا إذا بادر الناس إلى الإحسان، وأن الإحسان الذي يتطلبه استقرار الأمن والسلام لن يصبح إحسانا حقيقيا إلا إذا تطور إلى إيتاء ذي القربى، وعندها سيكون مطهرا من كل شائبة ومصلحة أو رغبة في جزاء أو شكر، وهذا ما يريده الإسلام، وهذا ما جاءت تعاليم الإسلام لتحقيقه.

وقد تضمنت كتب حضرته كثيرا من المفاهيم العظيمة والإصلاحات والإنجازات الفكرية التي نهضت بالفكر الإسلامي وعالجت الخلل والإشكالات

فيها بصورة رائعة[٤٧]. تلك المفاهيم التي حملها أصحابه وجماعته من بعده، فأدت إلى تقدمهم في كل مجال من مجالات الحياة كما يشهد لهم العدو قبل الصديق، والتي تثير الإعجاب لمن يطَّلع عليها، والتي تترك انطباعا يقينيا بأن هذه الجماعة هي التي ستنهض بالإسلام وتُظهره على الدين كله، وستنقذ العالم من الدمار، وستحقق الأمن والسلام المنشود، بإذنه تعالى وفضله ورحمته.

[٤٧] يرجى مراجعة كتاب "إنجازات المسيح الموعود" للخليفة الثاني مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه والذي يتضمن الإنجازات والإصلاحات المتنوعة التي جاء بها حضرته عليه السلام.

أدلة صدقه عليه السلام

الدليل الأول: تحقق النبوءات وانطباقها عليه وإعلانه أنه مصداق لها

كنا قد بيَّنا سابقا في الفصل الأول أن الجماعة الإسلامية الأحمدية إنما هي تحقيق لنبوءات عظمى جاءت في القرآن الكريم والحديث الشريف، وتضمنت الوقت والظروف والأحداث المصاحبة، وتضافرت لتكشف جوانب عديدة جدا ومواصفات للمبعوث ولجماعته. وبتفحص هذه النبوءات نجد أن الزمان هو زمانها قطعا، وأنها انطبقت تماما على حضرته عليه السلام وعلى الجماعة. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أعلن عليه السلام بنفسه أنه تحقيق لهذه النبوءات مجتمعة، ولم يدعِ أحد غيره ذلك حتى الآن. وهذا الدليل وحده يكفي لإدراك صدقه.

الدليل الثاني: شهادات كونية في السماء والأرض

إضافة إلى النبوءات العديدة التي ذكرها القرآن الكريم والحديث الشريف عن جماعة المؤمنين الأخيرة التي سيؤسسها المبعوث السماوي نائب النبي ﷺ في بعثته الثانية الموعودة، الذي هو المسيح الموعود والمهدي المعهود، فقد قدَّم القرآن الكريم والحديث الشريف شهاداتٍ كونيةً ستظهر عند بعثة هذا المبعوث لتدل على أن الوقت هو الوقت وأنه قد بُعث. وهذا من فضل الله تعالى الذي هيأ

الأدلة المتنوعة لمعرفة هذه الجماعة وهذا المبعوث.

وقد جاء في القرآن الكريم نبأٌ وُصف بأنه النبأ العظيم، وركَّز عليه القرآن الكريم تركيزا كبيرا خاصة في جزء عمَّ الذي يتضمن سورا كثيرة تتحدث عن هذا النبأ وتغطيه من كل الجوانب. والنبأ العظيم في الواقع هو ثلاثة أنباء مترابطة؛ وهي صدق القرآن الكريم، وانتصار الإسلام، والبعث بعد الموت[٤٨].

فقد بعث الله تعالى النبي ﷺ ليعرِّف الناس بربهم الذي خلقهم، والذي مآلهم ومرجعهم إليه، والذي سيبعثهم من بعد الموت، والذي ينبغي أن يعبدوه ويصطبغوا بصبغته لينالوا النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة. فنبأ البعث بعد الموت مرتبط ارتباطا وثيقا بالإيمان بالله تعالى ومعرفته وطاعته، ولكي يقدِّم الله تعالى أدلة على هذا النبأ، فقد جعله مرتبطا بنبأين آخرين هامَّين أيضا؛ وهما صدق القرآن الكريم وانتصار الإسلام. ففيما يتعلق بصدق القرآن، فإن تقديم القرآن الكريم أنباء مستقبلية وتحققها، والتي منها ما هو قريب جدا ومنها ما هو في المستقبل القريب ثم الأبعد، يقدِّم دليلا على أن النبأ الأعظم الذي سيأتي بعد وقت طويل جدا، وهو البعث بعد الموت، سيتحقق أيضا، ما دامت الأنباء الأخرى قد تحققت. كذلك فإن هذه الأنباء المتنوعة التي يقدِّمها القرآن الكريم

[٤٨] يمكن مراجعة الأجزاء الثلاثة الأخيرة من التفسير الكبير للخليفة الثاني مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه؛ لمزيد من التفاصيل.

إنما تتعلق في غالبيتها العظمى بنبأ انتصار الإسلام وتحقيقه الغلبة، والذي هو في حقيقته صورة من صور البعث؛ حيث أحيا الله أناسا كانوا يعانون من موت روحاني وقومي في ظل ظروف تبدو مستحيلة، فإذا تحقق انتصار الإسلام وغلبته، فهذا سيقدِّم دليلا على أن نبأ البعث من الموت هو حقٌّ أيضا.

وقد أنبأ القرآن الكريم أن الإسلام سينتصر في أول عهده، ثم سيبدأ بانحطاط تدريجي بعد ثلاثة قرون ثم يستمر هذا الانحطاط التدريجي على مدى ألف عام يشهد في نهايتها فسادا كبيرا وموتا ظاهريا للإسلام[٤٩]، ولكن الله تعالى في ذلك الوقت سيبعثه من جديد بقوة عظيمة، وذلك ببعث النبي ﷺ بعثة ثانية من خلال الرجل الفارسي الذي تنبئ عنه سورة الجمعة، والذي هو المسيح الموعود والمهدي المعهود، وبهذا ستكون هذه البعثة – التي سينتصر فيها الإسلام من جديد، والتي هي مرحلة من النبوءة الشاملة عن انتصار الإسلام – شهادة على صدق القرآن وعلى تحقق أنبائه كلها، والتي أعظمها وأهمها هو أن للكون إلها خالقا ومدبرا سيبعث الناس بعد موتهم وسيحييهم حياتهم الآخرة.

ولذلك، فقد أخبر القرآن الكريم عن هذه البعثة الثانية للإسلام وأعطى

[٤٩] جاءت إشارات حول هذه الأنباء في مواضع كثيرة منها: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ (الفجر: ٢-٤)، ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّون﴾ (السجدة: ٦)

علاماتٍ وآياتٍ لوقتها بصورة كثيفة، والتي عندما ستتحقق سيعرفون بها المبعوث فيؤمنون به ويزدادون إيمانا بالله وبالنبي ﷺ. ومن هذه العلامات والآيات ما يلي:

١. شهادة في السماء:

آية الخسوف والكسوف في شهر رمضان

جاء في حديث النبي ﷺ أنه سيكون لظهور المهدي آيتان، وهما الخسوف والكسوف في شهر رمضان، حيث روي عنه ﷺ:

{إِنَّ لَمَهْدِيِّنَا آيَتَيْنِ لَمْ تَكُونَا مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ، يَنْخَسِفُ الْقَمَرُ لأَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَتَنْكَسِفُ الشَّمْسُ فِي النِّصْفِ مِنْهُ، وَلَمْ تَكُونَا مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض} (سنن الدارقطني، كتاب العيدين، باب صفة صلاة الخسوف والكسوف وهيئتهما)

وهذا يعني أن القمر سينخسف في أول ليلة من ليالي الخسوف في شهر رمضان؛ وهي الليلة الثالثة عشرة، وأن الشمس ستنكسف في نصف أيام الكسوف من الشهر نفسه وهو اليوم الثامن والعشرون[٥٠].

[٥٠] قد يقول قائل إن نصَّ الحديث يخبر عن خسوف للقمر في أول الشهر وكسوف للشمس في نصفه. ولكن هذا الفهم غير صحيح، لأن القمر في أول الشهر يكون هلالا، والخسوف لا

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الآية أيضا في قوله تعالى:

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [٥١] (القيامة: ٨-١٠)

يحدث إلا عندما يكون القمر بدرا، وتكون الأرض بين الشمس والقمر، ويقع ظل الأرض على القمر. وكذلك فإن كسوف الشمس لا يحدث إلا في أيام الكسوف التي يكون القمر فيها بين الشمس والأرض فيغطى القمر قرص الشمس. وفي قوله ﷺ "ينخسف القمر لأول ليلة.." إنما أشار إلى أنه سينخسف في أول ليلة يكون فيها قمرا مكتملا أو بدرا. فالحديث تقديره "ينخسف القمر لأول ليلة من ليالي خسوفه، وتنكسف الشمس في نصف أيام كسوفها"، ومن الطبيعي أن يأتي نصُّ الحديث بهذه الصورة، لأن النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم، لا يقول كلاما حشوا مفروغا منه.

[٥١] قد يقول قائل إن هذه العلامات تتعلق بيوم القيامة التي تتدمر فيه الأكوان. ولكن الآية تتحدث عن خسوف للقمر، ثم اجتماع للشمس والقمر في هذه الظاهرة، وهذا يتعلق بالنظام الطبيعي الذي يجري عليه الكون. أما ورود قوله تعالى قبل هذه الآيات: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ (القيامة: ٧) فإنما يشير إلى أن هذا الحدث لا بد أن يحدث قبل يوم القيامة؛ أي لن تقوم القيامة حتى يبعث الله تعالى النبي ﷺ في بعثته الثانية من خلال الرجل الفارسي المسيح الموعود والإمام المهدي، وسيقيم الله تعالى في ذلك الوقت الحجة على البشر ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ (القيامة: ١١) بحيث لا يجد العاقل سليم القلب مفرا سوى أن يؤمن. أما عندما يتدمر الكون فسيكون البشر قد فنوا، ولن يشهدوا من هذا الدمار الهائل إلا شيئا من أوائل ما سيصيب الأرض، لأن بمجرد اختلال نظام العيش من غلاف جوي وهواء ودرجة حرارة ملائمة على الكرة الأرضية لن يستطيع البشر العيش بعدها للحظة.

وهذه الآيات الكريمة تتحدث بوضوح عن خسوف للقمر، وعن اجتماع للشمس والقمر في ظاهرة الخسوف والكسوف معا، وقد جاء الحديث تفصيلا لها.

وعندما أعلن مؤسس الجماعة عليه السلام أنه هو المسيح الموعود والمهدي المعهود أبرز له بعض معارضيه هذا الحديث، وقالوا له إن كنت أنت هو المهدي المعهود فأين هاتان الآيتان؟ فتوجه إلى الله تعالى فأخبره أنها ستظهر حتما عما قريب لتقوية إيمان المؤمنين وتبكيت المعارضين المكذبين، فأعلن هذا الإعلان ليكون حجة على المنكرين فيما بعد.

وما هي إلا سنوات قليلة حتى وقعت هذه الآية بحرفيتها، بفضل الله تعالى، حيث شهدت ليلة الخميس الموافق ٢١ آذار ١٨٩٤ الموافقة لليلة الثالثة عشرة من رمضان عام ١٣١١هـ خسوفا للقمر، ثم حدث كسوف الشمس في اليوم المحدد في النبوءة وهو الثامن والعشرين من شهر رمضان الذي وافق ٦ نيسان وذلك في القسم الشرقي من الكرة الأرضية. ثم في السنة التي تليها حدثت الظاهرة نفسها في الأوقات نفسها أيضا في القسم الغربي من الكرة الأرضية، ليقام بها الحجة على أهل الأرض كلهم[٥٢].

ويجدر الانتباه إلى أنه عليه السلام قد سُئل عن هذه الآية وطُلبت منه،كما ذكرنا

[٥٢] يمكن التحقق من هذه التواريخ من المواقع المتخصصة على الشبكة العالمية (الانترنت).

سابقا، فأخبر أن الله تعالى أخبره أنها ستحدث، فكان وقوعها تحقيقا لنبوءة الحديث الشريف وتحقيقا أيضا لنبوءة له عليه السلام بأنها ستحدث قريبا. وقد وقعت هذه الآية بعد سنوات من إعلانه بأنه هو المسيح الموعود والمهدي المعهود كما هو معلوم، ولم يكن في وقته أحد ادعى دعواه أو قال إنها قد جاءت تصديقا له، ولهذا فلا مجال لإنكار أنها قد جاءت لتصديقه هو عليه السلام حتما.

وبعد أن ظهرت هذه الآية البيِّنة، حاول البعض لإنكارها القول إن الحديث ضعيف! ومعلوم أن التصحيح والتضعيف مسألة نسبية ظنية، والحديث إذا تضمَّن نبأً غيبيا ثم تحقق هذا النبأ فهذا يجعله صحيحا حتما، لأن النبأ غيبٌ، والغيبُ لله، فلا يمكن أن يطّلِع أحدٌ على خبرٍ غيبيٍّ لم يُطْلعه الله تعالى عليه ثم يخبر عنه فيتحقق! وهذا ما استنكره الله تعالى في قوله: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ (الطور: ٤٢، القلم: ٤٨). فتحقُّق نبأ بهذه الصورة وبهذه الأهمية لا يمكن أن يكون من باب التخريص والتخمين، بل تحققه يجعل خبره خبرا يقينيا، ولا يقدَّم الظن على اليقين.

ثم إن النبأ هو نبأ قرآني في أصله، وما الحديث إلا تفصيل له.

٢. شهادات في الأرض

أ. تعطيل الإبل وظهور وسائل مواصلات حديثة بديلة

جاء هذا النبأ في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (التكوير: ٥)

وقد ورد هذا النبأ أيضا في الحديث الشريف مرتبطا بنبأ نزول المسيح كما يلي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ[٥٣] فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا} (صحيح مسلم، كتاب الإيمان)

وهكذا نرى أن الحديث الشريف قد ربط هذه الآية القرآنية السابقة مع حدث نزول المسيح تأكيدا على أن هذه العلامة- مع العلامات الأخرى التي ذُكرت معها في الآيات القرآنية الأخرى في السورة نفسها - إنما تتعلق بالنبأ الكلِّي المتعلق بالبعثة الثانية للنبي ﷺ، والتي نزول المسيح يشكِّل إحدى صورها، كما أوضحنا سابقا[٥٤].

---

[٥٣] القلاص هي الإبل السريعة

[٥٤] علاوة على أن الحديث قد أكد بوضوح أن هذا الحدث مرتبط بنزول المسيح، فإن الاعتقاد بان هذا الحدث هو من أحداث يوم القيامة إنما هو إساءة للقرآن الكريم! فإذا كان يوم القيامة

ومعلوم أن وسائل المواصلات قد بدأت بالظهور في نهاية القرن التاسع عشر، وهو الوقت الذي بُعث فيه مؤسس الجماعة عليه السلام، ثم بدأت بالتطور الهائل من وقتها إلى يومنا هذا، ولم تَعُد الإبل هي الوسيلة التي يتنقل بها الناس في الجزيرة العربية، وخاصة في الحج.

ب. انتشار الطباعة والنشر وثورة المعلومات ووسائل الإعلام

جاء في علامات هذا الوقت قوله تعالى:

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (التكوير: ١١)

ومعلوم أن الطباعة والنشر والصحافة قد تطورت كثيرا في أواخر القرن التاسع عشر، ثم أصبحت متطورة تطورا هائلا في عصرنا هذا بظهور الصحافة المسموعة والمرئية وثورة المعلوماتية والشبكة العالمية (الانترنت) التي تتيح للإنسان أن يطلع على ما يشاء من أخبار وعلوم وكتب، بل والبحث فيها عما يريده تحديدا بسهولة بالغة، بعد أن كان العثور على المراجع والبحث فيها أمرا مضنيا يتطلب جهدا ووقتا كبيرين.

هو يوم دمار الأكوان وهلاك البشر، فما أهمية أن يذكر الله تعالى الإبل في هذا السياق التي ستهلك أيضا هي وكل المخلوقات الأخرى يومها؟ ثم إن القرآن الكريم قد أخبر أن الإبل ستتعطل ولم يقل إنها ستهلك حينها، ونرى أن الحديث قد بيَّن معنى التعطيل الذي هو أنها لن تعود الوسيلة للتنقل والسفر. فليس هنالك بيان أوضح من هذا!

ت. علامات أخرى متعددة

إلى جانب العلامتين اللتين ذكرناهما سابقا، فقد وردت علامات متعددة أيضا عن هذا الزمان الذي سيشهد البعثة الثانية للنبي ﷺ المتمثلة في بعثة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام والتي منها ما جاء في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (التكوير: ٤-١١)

حيث ذكر الله تعالى تسيير الجبال والذي يعني أنه ستقام مشاريع كبيرة يتم فيها إزالة الجبال وتحريكها من أماكنها، كما أن جبالا من البضائع سيتم نقلها وتسييرها بوسائل المواصلات الحديثة المبتكرة. وذكر الله تعالى حشر الوحوش الذي من معانيه أن الناس سيأمنون من هجوم الحيوانات الضارية وستصبح محشورة في محميات طبيعية خوفا عليها من القتل الجائر بيد البشر لا خوفا منها عليهم، كما ستحشر في حدائق الحيوان. وذكر أيضا تسجير البحار والذي من معانيه أن البحار ستمتلئ بالمراكب والسفن المحملة بالبضائع، وكذلك بالسفن الحربية التي تحمل الأسلحة النارية الهائلة. وذكر تزويج النفوس الذي من معانيه أن الناس سيلتقون بكثرة وستنشأ بينهم علاقات بسبب تطور وسائل الاتصال والمواصلات. وذكر أيضا أن المرأة التي كانت موءودة مظلومة في العالم ستنال

حقوقها وسيُرفع عنها الاضطهاد بل وسيعلو صوتها وسيكون مؤثرا. وهنالك آيات كثيرة في سور أخرى تشير إلى الوقت نفسه وتذكر علاماتٍ أخرى لا حاجة لذكرها خشية الإطالة.

الدليل الثالث: النصرة والتأييد الإلهي

عندما أعلن حضرته دعواه في قرية قاديان، تلك القرية النائية في الهند، والتي في ذلك الوقت كانت تبعد عن أقرب محطة قطار ما يقارب ١٧كم، ولم يكن من السهل الوصول إليها، كان هذا الإعلان غريبا وعجيبا. فكيف لرجل في ظل هذه الظروف أن يُعلن أنه هو المسيح الموعود والإمام المهدي وهو ذلك الرجل الفارسي الذي أنبأ الله تعالى عنه في سورة الجمعة الذي سيكون نائبا للنبي ﷺ في بعثته الثانية، ويعلن أن الله تعالى قد وعده بالنصرة والتأييد وأنه سيبلغ دعوته إلى أقصى أطراف الأرض، وسينشر جماعته في العالم كله لتعمل على نشر الإسلام وإظهاره على الدين كله؟! كان هذا الإعلان في ذلك الوقت يبدو ضربا من الخيال ومثيرا للسخرية، ولكن شهادة الله الفعلية أثبتت أن الذي أرسله ووعده بالنصرة قد حقق وعده معه بكل جلاء.

وكان عليه السلام قد أعلن في مرحلة مبكرة، في كتابه البراهين الأحمدية، وحيا يشير إلى تلك البعثة المقدرة له، والتي لم يكن يعلم حقيقتها بعد، وكان هذا الوحي:

"جاء نذير في الدنيا، فأنكروه أهلها وما قبلوه، ولكن الله يقبله، ويُظهر صدقه بصولٍ قويٍّ شديدٍ صول بعد صولٍ." (التذكرة، ص ١٠٤)

وهنا قد أنبأه الله تعالى أنه سيبعثه نذيرا إلى الدنيا، وبأنه سيواجه معارضة شديدة مرة تلو أخرى، ولكن الله سينصره في كل مرة ويظهر صدقه.

وواقع الحال يبيِّن بأن ما كان مثارا للسخرية في وقت إعلانه النبأ قد أصبح الآن حقيقة واقعة لا مفر من الإقرار بها، بل أصبحت شغلا شاغلا للمعارضين تقضُّ مضاجعهم وتؤلب حسدهم.

الدليل الرابع: الآيات والمعجزات والأنباء الغيبية

أيد الله تعالى حضرته بالعديد من الآيات التي تظهر صدقه وتأييد الله تعالى له. فمن أهم هذه الآيات ما يلي:

١. آية الطاعون

بعد ظهور آية الخسوف والكسوف، أنبأ عليه السلام بأن الخسوف والكسوف اللذين أنبأ النبي ﷺ عنهما كعلامة لظهور الإمام المهدي تشتملان أيضا على إنذار من عذاب أو بلاء سيقع، لأن الخسوف والكسوف هما آيات إنذارية في أصلهما، ولذلك أمر النبي ﷺ بصلاة الخسوف والكسوف تضرُّعا إلى الله كي يمنع عذابا أو بلاءً جاءت هذه الظواهر لتنذر منه.

وبيَّن حضرته عليه السلام أن العذاب أو البلاء المرتقب هو الطاعون، الذي بدأ بالانتشار في أنحاء من القارة الهندية في عام ١٨٩٧. ثم في عام ١٨٩٨ أعلن عليه السلام أن الطاعون سينتشر في البنجاب أيضا، التي لم يكن قد وصلها إلى ذلك الحين وكان ذلك مستبعدا، وذلك خلال سنة أو سنتين؛ حيث أعلن أنه رأى ملائكة تغرس غراسا كريهة المنظر في أرجاء البنجاب، فسألها عنها، فقالت إنه الطاعون.

وبالفعل ظهر الطاعون فجأة في البنجاب وفقا لما أنبأ حضرته، وبدأ بالانتشار السريع وحصد أرواح الناس بكثرة. فسعت الحكومة البريطانية للقيام بحملة تطعيم للوقاية من المرض. فعندما سمع حضرته بهذا أثنى على موقف الحكومة، ولكنه قال إنه لن يتطعم هو وأفراد جماعته، لأن الله تعالى قد وعده بأنه سيكون محفوظا هو وجماعته من الطاعون، وأن هذه الحفاظة ستكون آية أيضا على صدقه، وأن الطاعون في الواقع هو آية قد أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٣)

ومعلوم أن جرثومة الطاعون تنشأ في الأرض وتنقلها البراغيث والفئران، وهي المقصودة بدابة الأرض في هذا السياق. والآية الكريمة إنما تشير إلى أنه في وقت من الأوقات ستخرج دابة الأرض هذه وستفرق بين المؤمن والكافر كما ورد في

الآثار، حيث لن تصيب المؤمنين وستفتك بغيرهم، وستكون سببا للإيمان وللإيقان بآيات الله.

وقد جوبهت دعوته لجماعته بعدم التطعيم، التي كانت بهدف عدم التباس الآية، بالاعتراض الشديد والسخرية والقذف بأنها تخاريف وشعوذة ودعوة لترك الأسباب، فأوضح حضرته أن من واجب المؤمن أن يأخذ بالأسباب دوما عموما، فهي من قدر الله، ولكن في هذه الحالة فقط نحن لن نلجأ للتطعيم، لأن الله تعالى يريد أن يظهر قدرته ويؤكد أنه هو مالك الأسباب.

والواقع أن التطعيم لم يجدِ نفعا، وقررت الحكومة البريطانية التوقف عنه لأنه تبين أنه يضر أكثر مما ينفع. وألف حضرته كتابا سماه "سفينة نوح" بيَّن فيه أن الله تعالى قد أوحى إليه أنه سيحفظ كل من في داره، وبيَّن أن الدار ليست داره المادية فحسب، بل المقصود بها جماعته، وأن من يلتزم بجماعته من أفرادها سيكون محميا ومحفوظا، كما سيحمي قريته قاديان من الطاعون الجارف.

وبالفعل عاث الطاعون يمينا وشمالا، ووصل إلى قاديان ولم يفتك إلا بعدد قليل من خارج الجماعة ليكون شهادة على أنه قريب جدا ولكنه لن يفتك بالمؤمنين، وأيضا حمى الله أفراد الجماعة خارج القرية.

وهذه الآية كانت سببا لإيمان عشرات الآلاف به عليه السلام، وكانت آية بينة ومعجزة إلهية جلية.

٢. الأنباء الغيبية

لا شك أن الاطلاع على الغيب هو علامة قرب الله تعالى وعلامة مرسليه ومبعوثيه المقربين، حيث يقول تعالى:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (الجن: ٢٧-٢٨)

كان الله تعالى يطلع حضرته عليه السلام بكثرة على الأنباء الغيبية المتعلقة به وبالمحيطين به بل وبأحداث محلية وعالمية. وكان عليه السلام يطلع الناس على النبأ ويشهدهم عليه- وكان من الشهود مَن هم من غير جماعته بل ومن غير المسلمين أحيانا- ليكونوا شهداء عند تحققها، ثم نشر هذه النبوءات في العديد من كتبه[٥٥] في حياة هؤلاء الشهود، ولم يتقدَّم أحد وينفِ ما نسبه عليه السلام إليه. وهذه الأنباء الغيبية التي سجل منها العشرات كنموذج، والتي شهد على إعلانها ثم تحققها المئات، تشكِّل دليلا إضافيا ساطعا على صدقه.[٥٦]

---

[٥٥] أورد عليه السلام عددا كبيرا من هذه الآيات في كتب عديدة منها: حقيقة الوحي، نزول المسيح، وترياق القلوب، وغيرها من الكتب، ويمكن الرجوع إليها للتفاصيل.

[٥٦] بيَّن حضرته عليه السلام أيضا أنه قد تميز عن الأولياء والأقطاب والأبدال والأولياء الذين في الأمة بكثرة الإنباء، وهذا كانت غايته تحقيق نبوءة النبي ﷺ عن نزول المسيح في الأمة الذي سيكون نبيا (رغم أن نبوته غير مستقلة ونالها بكمال الطاعة والحب والفناء في النبي ﷺ)، والذي سيحق له تمثيل النبي ﷺ في بعثته الثانية، فقال عليه السلام:

٣ـ استجابة الدعاء

بيَّن حضرته أن من أهم علامات المقربين هي استجابة الدعاء. وقد تحدَّى معارضيه وطالبهم بأن يبارزوه في استجابة الدعاء، ليثبُت من الذي على الحق. ففي مناظراته مع المسيحيين دعاهم مرارا إلى أن يختاروا عددا من المرضى الميئوس

"وليتضح الآن أن هناك نبوءة في الأحاديث النبوية الشريفة أنه سيكون في أمة النبي ﷺ شخص يُسمَّى عيسى بن مريم ونبيا، أي سيُشرَّف بكثرة المكالمة والمخاطبة الإلهية وتُكشف عليه الأمور الغيبية بكثرة لا تُكشف إلا على نبي كما يقول الله تعالى: ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ والثابت المتحقق أنه لم يُعط غيري خلال الـ١٣٠٠ سنة المكالمةَ والمخاطبة التي شرَّفني الله بها والأمور الغيبية التي كشفها عليَّ، وإذا أنكر ذلك أحد فإن مسئولية الإثبات تقع عليه.

فمجمل القول إنني أنا الفرد الوحيد الذي خُصَّ من بين الأمة بهذه الكثرة من الوحي الإلهي والأمور الغيبية، وكل من خلا قبلي من الأولياء والأبدال والأقطاب في الأمة لم يعطَوا هذا النصيب الوفير من هذه النعمة، ومن أجل ذلك أنا الوحيد الذي خُصَّ باسم "النبي"، بينما لم يستحقه هؤلاء جميعًا، لأن كثرة الوحي وكثرة الأمور الغيبية شرط لذلك، وهذا الشرط غير متوفر فيهم. وكان لا بد من أن يحدث ذلك لكي تتحقق نبوءة النبي ﷺ بجلاء لأن الصلحاء الآخرين الذين خلَوا من قبلي لو حظُوا بالقدر نفسه من المكالمة والمخاطبة الإلهية والاطلاع على الأمور الغيبية واستحقوا أن يسمَّوا أنبياء لوقعت شبهة في نبوءته ﷺ. لذا فقد منعت الحكمة الإلهية هؤلاء الصلحاء من نيل هذه النعمة كاملة؛ فقد ورد في الأحاديث أن شخصا واحدا فقط سينال هذه المرتبة، وبذلك ستتحقق النبوءة." (حقيقة الوحي، ص ٤٤٢)

من شفائهم، وأن يتم قسمتهم بالقرعة بينه وبينهم، وأن يبتهل كل فريق إلى الله تعالى أن يشفيهم، وسيرون أن الغالبية العظمى من الذين سيدعو هو لهم سيشفون، بينما لن يشفى من جانبهم إلا ما شذَّ وندر، وهذا لأن هنالك قضاء مبرما يتعلق ببعض الأشخاص لن ينفع معه الدعاء. فخاف المسيحيون من هذه المبارزة ولم يتقدموا لها.

كذلك فقد ظهرت آيات استجابة دعائه عليه السلام في كثير من المواقف المسجلة في كتبه، ضمن الآيات والمعجزات، ويمكن الرجوع إلى تفاصيلها.

٤ـ التحديات والمناظرات والمباهلات

بدأ حضرته دعواه مدافعا عن الإسلام بكل قوة وبسالة مقابل خصوم الإسلام وبخاصة المسيحيين، ورد على شبهاتهم وفند عقائدهم ودعاواهم، ودعاهم للمناظرات التي أكَّد أنها يجب ألا تقتصر على تقديم الحجج، وإنما ينبغي أن يكون كل فريق قادرا على إراءة آية عملية تثبت أن دينه هو الدين الحق وتشهد على صدقه، وأنه مستعد دوما أن يُظهر آية على صدق الإسلام، وأن الآخرين لن يستطيعوا أن يُظهروا آية على صدق أديانهم مقابله، ولو استطاع أحد إراءة آية مقابل آيته فإنه سيشهد على نفسه أنه ليس من الله.

ومن التحديات التي أعلنها حضرته كان تحديه للهندوسي ليكرام، الذي

كان زعيما هندوسيا كتب كتابا هاجم فيه الإسلام بشدة وأساء إلى النبي ﷺ، فدعاه عليه السلام للتحدي لإراءة آية، فاستمر في إساءته وسلاطة لسانه، فأعلن عليه السلام أنه سيموت خلال ست سنوات بسيف النبي ﷺ الذي أطال لسانه عليه، وأنه سيموت في وقت عيد، بل ورأى في الكشف ملاكا على هيئة رجل ضخم محمرَّ العينين يبحث عن ليكرام ليقتله. وكان ليكرام هذا يتصف بالحمق، فأعلن نبوءة مقابل نبوءة المسيح الموعود عليه السلام وقال بأنه عليه السلام سيموت بالكوليرا خلال ثلاث سنوات، ثم شدد الحراسة على نفسه. ثم في الفترة المحددة، وطبقا للنبوءة، كان ليكرام في الطابق العلوي من بيته في غرفته، وفي الغرفة المجاورة كانت أمة وزوجته، وكان الطابق الأرضي محروسا جيدا، فسمعت زوجته وأمه صراخه، فذهبتا إليه فوجدتا أحشاءه ممزقة، وخرج رجل ضخم محمر العينين من الغرفة ثم اختفى، ولم ينزل إلى الطابق الأرضي، ولم يكن هنالك منفذ ليفر منه. فادعى الهندوس أن حضرته عليه السلام أرسل رجلا ليقتله، وتوجهوا إلى السلطات يشتكون، فأعلن عليه السلام أنه لو ثبت أنه قد أرسل القاتل فهو مستعد لأي عقاب، ولكن ليكرام مات بيدٍ إلهية، وأن الذي سيصرُّ من المعارضين ويقسم أن حضرته قد أَرسلَ لقتله حتما فهو أيضا سيموت خلال عام. فكانت هذه الآية آية عظيمة على صدق الإسلام مقابل الهندوس.

ومن التحديات التي قام بها عليه السلام كان تحديه للقسيس المتنصر عبد الله آتهم،

الذي كان في الأصل شيخا ثم تنصَّر، وقد كتب كتابا مسيئا جدا للنبي ﷺ. وقد جرت مناظرة بينه وبين المسيح الموعود عليه السلام أطلق عليها المسيحيون اسم "الحرب المقدسة" ، فنَّد فيها عليه السلام حجج المسيحيين وبكَّتهم، واستمرت المناظرة لخمسة عشر يوما، أعلن حضرته في نهايتها أن آية صدق الإسلام التي سيظهرها في نهاية هذه المناظرة هي أن عبد الله آتهم الذي وصف النبي ﷺ في كتابه بأنه دجال سيموت خلال خمسة عشر شهرا، بحيث يقابل كل يوم من المناظرة شهرا من المدة، إذا لم يتُب ويرجع إلى الحق. فذُهل القسيس وشعر بالذعر الشديد، ونفى في حينها أن يكون قد وصف النبي ﷺ بالدجال، ثم بقي لخمسة عشر شهرا منعزلا في خوف شديد، لم يكتب خلالها شيئا ضد الإسلام، وكان يعاني من الهواجس والمخاوف. وبعد انقضاء مدة الخمسة عشر شهرا، وإذ لم يمت فيها آتهم، أثار المسيحيون وبعض من ناصرهم من المشايخ أن النبوءة لم تتحقق، فبيَّن عليه السلام أن النبوءة كانت تشترط أن يتوب، وهو أبدى الخوف من اللحظة الأولى، ثم بقي خائفا مذعورا في المدة كلها، فهذا نوع من التراجع والتوبة الجزئية، لذلك أوقف الله تعالى وعيده عنه مؤقتا، وهذه سنة الله تعالى في الوعيد، كما حدث مع قوم يونس[٥٧]. فإذا أنكر أنه كان خائفا

[٥٧] أنباء الإنذار بالعذاب من الله تعالى هي أنباء وعيد، والله تعالى إنما ينبئ بها ليرتدع الناس عن سيئاتهم. فإن تابوا وارتدعوا خُفف العذاب عنهم أو رُفع. وقصة يونس عليه السلام خير مثال

ومذعورا من هيبة النبوءة الإسلامية فعليه أن يُقسم، فإن أقسم ثم لم يمت خلال عام بعد القسم فإنه عليه السلام سيعلن انتصار القسيس وهزيمته وأنه ليس من الله تعالى. فلم يجرؤ القسيس على القسم، وشجعه المسيحيون على المراوغة، فأعلن عليه السلام أنه سيعطيه مبلغا كبيرا من المال جعله في البداية ألف روبية تشجيعا له لكي يقسم، ولكنه لم يفعل، فأخذ حضرته عليه السلام يرفع المبلغ في إعلانات متتالية إلى ألفين ثم ثلاثة ثم أربعة مفندا في كل إعلان حججه الواهية في الإحجام عن القسم وحجج المناصرين له من النصارى والمشايخ الضالين الذين أعماهم التعصب – والذين لم يبالوا بأن التحدي كان بين الإسلام والمسيحية ولا علاقة

على ذلك، فقد أنبأ الله يونس عليه السلام أنه سينزل العذاب على قومه بعد أربعين يوما بسبب كفرهم وتكذيبهم له، فأخبرهم بهذا الخبر وانصرف من قريتهم ليرتقب العذاب من خارجها، فلما رأوه خارجا أدركوا أن العذاب نازل بهم لا محالة، فتابوا جميعا وتضرعوا إلى الله فصرف الله عنهم العذاب، فلما علم يونس بتوبتهم ورأى أن العذاب لم ينزل بهم شعر بالحرج لأن النبأ أصبح يبدو وكأنه كاذب، فذهب مغاضبا، ثم حدثت معه حادثة الحوت، ثم عاد إليهم بعد نجاته بعد أن أوضح الله تعالى له أن الوعيد بالعذاب ينصرف بالتوبة وعدم نزوله ليس من الكذب أو البطلان للنبوءة. ومع أن نبأ عذاب قوم يونس عليه السلام لم يتضمن تصريحا بشرط التوبة، إلا أن شرط التوبة هو دائما يصاحب الوعيد بالعذاب. وفي قصة آتهم قد صرَّح الوحي بشرط التوبة، ولذلك أُجِّل عنه العذاب ثم حلَّ به بعد أن راوغ وأبدى تراجعا عن توبته وحاول إخفاء الشهادة.

له بدعوى المسيح الموعود عليه السلام – ومبينا أن بقاءه على قيد الحياة مع خوفه ثم خوفه من القسم والمراوغة بعد انقضاء الميعاد هو مطابق تماما للنبوءة بل دليلا على عظمتها التي كانت يمكن أن تلتبس لو لم يبدِ خوفا ومات في الميعاد؛ لأن المسيحيين كانوا يقولون سلفا إن آتهم مريض وكان الطبيب قد توقع ألا يعيش أكثر من ستة أشهر، فلو مات فلن يكون ذلك بفعل النبوءة.

ثم في النهاية، عندما أصدر المسيح الموعود عليه السلام إعلانه الأخير برفع المبلغ إلى أربعة آلاف روبية أعلن فيه أنه سيموت حتما خلال سنة من هذا الإعلان الأخير أقسم أم لم يقسم، لأنه قرر أن يخفي الحقيقة متعمدا. وبالفعل مات عبد الله آتهم بعد ستة أشهر من هذا الإعلان[٥٨].

وهذا الخزي الذي أصاب المسيحيين نتيجة هزيمتهم في المناظرة ونتيجة موت آتهم وفقا للنبوءة، دفعهم ليحيكوا مكيدة ليوقعوا بحضرته، فقاموا بجلب شاب متشرد وطلبوا منه أن يدعي أن حضرته عليه السلام أرسله لقتل القسيس الأكبر مارتن كلارك الذي كان رئيس فريق المسيحيين في المناظرة. وليس واضحا مدى تورط مارتن كلارك بنفسه في هذه المؤامرة إلا أنه قد رفع قضية ضد حضرته عليه السلام في المحكمة. ولكن الله تعالى كان قد أنبأ حضرته عليه السلام من قبل بأنهم سيفترون عليه

[٥٨] وردت تفاصيل قصة آتهم والإعلانات المتعلقة به في كتابي "أنوار الإسلام" و"ضياء الحق" لحضرته عليه السلام، كما وردت القصة في العديد من الكتب الأخرى.

بهذه التهمة، وأنه تعالى سينقذه. فهيأ الله الظروف بأن جعل القاضي الشاب الإنجليزي الذي كان اسمه "الكابتن دوغلاس" ينتبه إلى أن في الأمر مؤامرة ما، ونتيجة للضغط اعترف الشاب أن المسيحيين هم من أعدّوه حرَّضوه على هذا الاتهام، وأن حضرته عليه السلام لم يُرسله. فباء المسيحيون بخزي على خزي، وقال القاضي لحضرته عليه السلام إنه بإمكانه أن يرفع قضية بسبب هذه الدعوى المزورة على كلارك وزمرته، ولكنه عليه السلام رفض ذلك، وقال إن قضيتنا مرفوعة في السماء والله تعالى سيتولاها[٥٩].

ومن تحدياته المميزة أيضا تحديه لقسيس شهير ظهر في أمريكا كان اسمه ألكسندر دوئي، الذي ادعى حينها أنه رسول المسيح، وأن المسيح قد أرسله للقضاء على الإسلام والمسلمين، وأنه لن يمضي وقت طويل حتى ينمحي الإسلام من الوجود. وكان هذا القسيس حائزا على شهرة كبيرة، وله أنصار كُثُر، وأنشأ مدينة أسماها "صهيون" في ولاية إلينوي ليجتمع فيها أنصاره. فعندما علم عليه السلام بأمره أرسل إليه وقال له ما معناه: إنك تعلن أنك رسول المسيح، وأن المسيح قد أرسلك لتقضي على الإسلام، وأنا أقول لك إنني رجل مسلم تابع وخادم للنبي ﷺ، وقد أرسلني الله مثيلا للمسيح لإرغام أنوفكم

[٥٩] وردت قصة هذه القضية في عدد من كتب المسيح الموعود عليه السلام، إلا أن تفاصيلها وملابساتها قد جاءت في كتاب "البرية"، الذي تضمن أيضا تفنيدا للعقائد المسيحية.

وليريكم أن مقام المسيح الحقيقي هو أن يكون خادما تحت أقدام النبي ﷺ لا أن يكون إلها أو ابن إله، وإنني مرسل من الله تعالى إله الإسلام الإله الحق، فإن كنت تظن نفسك على الحق فإنني أدعوك إلى المباهلة ليتبين الناس مَن يتبع الإله الحق وما هو الدين الحق.

وقد وصلت أخبار هذه المراسلات إلى الصحف الأمريكية ونشرتها بكثرة، وكان موقف ألكسندر دوئي أمامها الصمت، حتى توجه إليه الناس والصحف وقالوا له لماذا لا ترد على هذا المدعي من الهند؟ فقال أخيرا ما معناه: إنني لا أراه ولا أرى الإسلام والمسلمين جديرين بالاهتمام ولا أراهم إلا كذباب سأترك لهم مجالا لكي يعيشوا بعيدا عني، وإلا فإنني لو حرَّكت قدمي لسحقتهم! فبعد هذا الإعلان راسله عليه السلام وقال إنك لم تقبل بالمباهلة، ولكن كبرياءك وصلفك عُدَّ عند الله قبولا، وستموت خلال عام بالخزي والعار، وهذا كلام الله الحق الذي لن يزول! وبالفعل بدأت المصائب تنهال على رأس ألكسندر دوئي من كل حدب وصوب، واتُّهم بالسرقة ومعاقرة الخمر وبتصرفات غير أخلاقية من أتباعه، وهاجمته الأمراض وهدَّت قواه، رغم أنه كان في الخمسينات وكان يحظى بصحة جيدة كثيرا ما كان يتفاخر بها ويعتبرها هبة خاصة من إلهه، وأصابه الشلل النصفي وشُلَّت قدمه التي قال إنه لو حرَّكها لسحق بها حضرته عليه السلام

والمسلمين جميعا، ثم مات في المدة المقررة خارج مدينته[٦٠]. وكانت الصحف الأمريكية التي تتابع الحدث قد أبدت تعجُّبا كبيرا من دقة أنباء حضرته عليه السلام، حتى إن إحداها وهي صحيفة بوسطن كتبت في صدر صفحتها بخط عريض: **عظيمٌ هو مرزا غلام أحمد، المسيح.**

ومقابل معارضيه من المشايخ، الذين لم يلتفتوا إلى جهاده ودفاعه عن الإسلام ولم يقدِّروه، وبدلا من معاونته وتأييده والسرور به، سعوا إلى تكفيره وتكذيبه بل وللتحالف مع خصومه من المسيحيين والهندوس وغيرهم، أعلن حضرته أن الله تعالى قد أيده بحجة بالغة وبعلم القرآن الكريم، وأن هذا العلم إنما هو آية على صدقه. وعندما اتهمه بعض المشايخ المتكبرين بأنه قليل العلم، وأنه لا يعلم العربية جيدا، أعلن أن الله تعالى قد علَّمه اللغة العربية تعليما إعجازيا، وكتب عددا من الكتب العربية المليئة بالمعارف العميقة بلغة عربية فصيحة إعجازية لا يستطيع العرب الإتيان بمثلها، ودعاهم لأن يأتوا بمثلها في فصاحتها وبلاغتها ومعارفها. بل قد جادت قريحته بعدد من القصائد العربية الرائعة في مدح النبي ﷺ والقرآن الكريم وفي ذكر أحواله ودعواه وعاطفته تجاه الأمة الإسلامية ومواساته لها. وفي مرة أمره الله تعالى بأن يلقي خطبة عيد

[٦٠] لم يبقَ الآن أثر لألكسندر دوئي وأتباعه في مدينة صهيون هذه، بل يوجد فيها الآن بفضل الله مركز نشط للجماعة الإسلامية الأحمدية.

الأضحى باللغة العربية ارتجالا، فكانت الخطبة خطبة إلهامية بليغة سُجلت في كتاب له[٦١]، وكانت درةً في البيان والمعارف العظيمة.

وفي معظم كتبه، وخاصة العربية، كان يقدِّم تحديًّا للخصوم بأن يأتوا بمثلها، وأن يُعرَض كتابه وكتب الخصوم أمام لجنة محايدة لتحكم في الأمر، وأنه مستعد للتنازل عن دعواه وإحراق كتبه لو استطاع أحد الرد على تحدياته أو الإتيان بمثل ما جاء به، ولكن لم يستطع أحد الرد على هذه التحديات.

إضافة إلى ذلك، فقد دعا خصومَه الذين يصرُّون على تكذيبه وتكفيره للمباهلة، بعد أن أطلعهم على حقيقة دعواه في كتبه ومراسلاته، وكان يعلن في كل مرة نبأ معينا أو أنباء تتعلق بالخصم؛ كأن يموت الكاذب في حياة الصادق خلال سنة أو مدة معينة، أو أن أمرا ما سيصيب الخصم نتيجة كذبه وافترائه وتماديه. وقد وردت تفاصيل لمباهلاته مع خصومه ومصيرهم في العديد من كتبه[٦٢].

---

[٦١] هذه الخطبة منشورة في كتابه عليه السلام "الخطبة الإلهامية".

[٦٢] أذكر هنا بعض المعارضين الذين هلكوا نتيجة المباهلات والتحديات مع حضرته عليه السلام: المولوي نذير حسين الدهلوي: أجّج نار تكفير حضرته عليه السلام ولكنه بعد المباهلة شهد صدمة موت ابنه ثم رحل هو نفسه أيضا من هذه الدنيا.

والمولوي غلام دستغير القصوري –الذي جلب فتوى تكفير حضرته عليه السلام من مكة– أعلن المباهلة من جانبه وهلك نتيجة ذلك.

ورشيد أحمد الجنجوهي: نتيجة مباهلة حضرته عليه السلام عمي بصره أولا ثم مات بلدْغة حية.

وشاه دين اللدهيانوي: مات نتيجة المباهلة بداء الكلَب.

والمولوي عبد العزيز والمولوي محمد والمولوي عبد الله الغزنويون: كانوا من أشد المعارضين في لدهيانه وهلكوا نتيجة المباهلة.

ومحيي الدين اللكهوكي: نشر إلهاما عن حضرته عليه السلام أنه سينزل عليه العذاب ولكنه بنفسه مات بعذاب الطاعون.

ونور أحمد من "بهري تشتَّه" محافظة حافظ آباد: قال يوما بأن الطاعون لن يمسَّنا أبدا وإنما جاء لهلاك ميرزا، فبعد قوله هذا بأسبوع فقط هلك هذا الشخص من الطاعون.

والمولوي زين العابدين من قلعة والي باهل المولوي محمد علي السيالكوتي الأحمدي في سوق الكشميري واقفا في محل، فبعد بضعة أيام من ذلك هلك هو وزوجته وزوج ابنته وسبعة عشر شخصا بالطاعون.

والمولوي محمد حسين بهين والا: لعن المسيح الموعود عليه السلام وهلك خلال سنة واحدة.

ومنشي سعد الله اللدهيانوي الذي كان يبتغي دمار المسيح الموعود عليه السلام دمّره الله تعالى وأهلكه بموت الذل.

ومحمد جان المعروف بالمولوي محمد أبو الحسن من بسرور محافظة سيالكوت: دعا على المسيح الموعود عليه السلام في كتابه "الصاعقة السماوية" وأنزل الله عليه صاعقة الطاعون.

والمولوي تشراغ دين الجموني: نشر أن الله تعالى يهلك الكاذب منا فأثبت الله كونه كاذبا بهلاكه هو مع ابنَيه بالطاعون.

ومن المناظرات التي أجراها مع خصومه مناظرة لدهيانة مع الشيخ محمد حسين البطالوي، التي تم الاتفاق أن تجري حول أدلة وفاة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. فبدلا من أن يقدِّم البطالوي أدلته المزعومة على حياة المسيح في السماء أخذ يراوغ ويسأل عن منهجه عليه السلام في الحديث، فأثبت له حضرته أن للحديث عنده مكانة أسمى وأرفع من المكانة التي يدعيها البطالوي الذي كان من أهل الحديث "السلفية"، وأنه يقبل بالحديث الذي لا يعارض القرآن معارضة صريحة، وأن الواجب هو فهم الأحاديث بصورة لا تتناقض فيها مع

وفقير مرزا الدوليالي: قال إن مرزا شخص مفتر وسوف يموت حتى رمضان القادم في حياتي ولكن لما جاء رمضان مات هو بنفسه بالطاعون.

ومنشي إلهي بخش المحاسب: أنبأ بموت المسيح الموعود عليه السلام ولكنه بنفسه رحل هذه الدنيا.

والمولوي عبد المجيد الدهلوي: فارق الحياة بالكوليرا نتيجة المباهلة.

والمولوي غلام رسول المعروف رسل بابا الأمرتسري: هلك بالطاعون في أمرتسر.

وإسماعيل من عليغره: دعا أن الكاذب يموت فمات هو بنفسه.

أحمد بيك من هوشياربور: هلك وفق نبوءة المسيح الموعود عليه السلام وبدأت المصائب تحيق بعائلته وفقا للنبأ، فاستولى الرعب على العائلة وتراجعوا عن عدائهم للإسلام ومهاجمتهم له وانتهوا عنه، فرفع الله عنهم العذاب، ثم انضم عدد من أفراد عائلتهم إلى الجماعة.

الحافظ سلطان السيالكوتي: كان معارضا شديدا، وكان يريد أن يلقي الرماد على حضرته عليه السلام أثناء مرور موكبه عليه السلام من سيالكوت فمات هو وعشرة من عائلته بالطاعون.

القرآن، لأن أصل كلام النبي ﷺ لا يمكن أن يعارض القرآن. أما المعارضة إن وجدت فهذا يدل على أن الحديث ليس من النبي ﷺ أصلا، ولكن يجب عدم الاستعجال في رد الأحاديث، لأن هناك أخطاء دخلت على الروايات، ويجب العمل على تأويلها ما أمكن. ورغم أن المناظرة لم تحقق الغاية التي وضِعت من أجلها، إلا أنها كانت مفيدة جدا في تبيان المنهج الرائع الرصين للمسيح الموعود عليه السلام في الحديث[٦٣].

بعد ذلك تقدَّم أحد المشايخ واسمه الشيخ محمد بشير البهوبالي لمناظرة حضرته في مسألة وفاة المسيح، رغم عدم تشجيع البطالوي له هو وشيخهم الأكبر الذي كان اسمه نذير حسين الدهلوي، فعُقدت بينه وبين حضرته مناظرة في دلهي. فادعى الشيخ البهوبالي أن هناك آية قطعية تؤكد حياة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في السماء وعودته في آخر الزمان، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٦٠)، وادعى أن المسيح سينزل في آخر الزمان ثم سيؤمن به أهل الكتاب كلهم قبل أن يموت! فبين حضرته أنها لا تفيد مطلقا ما ذهب إليه، وأن القيامة ستقوم وسيكون هناك يهود ونصارى بنص القرآن، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة: ١٥)

[٦٣] تفاصيل هذه المناظرة في كتابه عليه السلام "مناظرة لدهيانة"

وفي قوله تعالى للمسيح خاصة: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ٥٦)، أي أنه سيبقى هناك من يتبعك ومن يكفر بك إلى يوم القيامة، ثم قدَّم حضرته الأدلة العديدة، التي تربو على ثلاثين آية من القرآن الكريم، والتي تثبت أن المسيح قد توفي وأنه لن يعود[٦٤].

وبمراجعة تفاصيل هذه المناظرات يتضح جليا مدى قوة حجة المسيح الموعود عليه السلام وصدق أدلته.

الدليل الخامس: هلاك المتقول على الله واندثار دعواه

ينبئ الله تعالى في القرآن الكريم أنه سيهلك المتقوِّل عليه ويمحق دعواه، حيث قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الحاقة: ٤٥-٥٣)

إذ يؤكد الله تعالى بأن الذي يدَّعي أنه مبعوث من الله، ثم يعلن للناس وحيا يدَّعي أن الله تعالى أوحاه إليه، فإن الله تعالى سيأخذه من يمينه؛ أي سيمنعه بنفسه من هذا العمل، ثم سيقطع وتينه؛ أي سيقطع عنه سبل الحياة والبقاء،

[٦٤] تفاصيل هذه المناظرة في كتابه عليه السلام "مناظرة دلهي"

وأنه لن يستطيع أحد أن يحول دون مشيئته تعالى فيحجز عنه عذاب الله.

ونرى بالفعل أن كل متقوِّل أو مدعي نبوة كاذب قد اجتثه الله تعالى وأهلكه ولم يبق لدعوته أثر.

وقد وضع الله تعالى هذا الدليل لكي يبدد أي شبهة حول المدعي الصادق، وليكون تذكرة للمتقين وسببا للإيمان، وليكون حسرة على الكافرين.

ومع أن صدق دعوة المسيح الموعود عليه السلام قد ثبت بأدلة قاطعة، تضمَّنت نبوءات تحققت ثم شهادات من السماء والأرض على تحققها كما رأينا من قبل، إلا أن هذا الدليل يُحكِم الدائرة ويبدد أي شبهة حول دعواه. لأن الله تعالى لم يهلكه ولم يقضِ على دعوته، بل قدَّر الله تعالى أن يكون استمرار دعوته مرتبطا بنبوءة عظيمة؛ وهي نبوءة عودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة كما رأينا سابقا، والتي قامت بواجباتها في نشر الإسلام وتبليغه ونصرته، وصمدت أمام صعوبات ومعارضة شديدة ولا تزال، ويبارك الله في أعمالها ويوسعها يوما بعد يوم.

وبالنظر إلى من ادَّعوا دعوات مهدوية في وقت حضرته وقبلها وبعدها، فنجد أن دعاواهم –التي كانت محدودة ومنحصرة في دعوى المهدي في أصلها– قد تبددت وزالت، ولم يبقَ لها أثر يُذكر.

وهذا الدليل الدامغ يُعدُّ شهادة فعلية من الله تعالى على صدق المسيح

الموعود عليه السلام.

ونكتفي بهذا القدر من أدلة صدقه، علما أن أدلة صدقه عديدة جدا ومتنوعة، وقد ذكر حضرته تفاصيلها في كتبه.

وفاته

بعد أن أدى المسيح الموعود عليه السلام رسالته المباركة، وقام بمهامه الموكولة إليه خير قيام، ودافع عن الإسلام دفاعا عظيما مقابل أعدائه ومعارضيه، أخبره الله تعالى بقرب وفاته، فحثه هذا الخبر على مضاعفة جهوده التي استمر فيها إلى آخر لحظات حياته، إلى أن وافاه الأجل المحتوم في مدينة لاهور بتاريخ ٢٦ أيار ١٩٠٨، ثم نُقل جثمانه إلى قاديان في اليوم التالي. ومع أن وفاته كانت حدثا حزينا، إلا أن الله تعالى أعقبها بخبر سار للأمة بمجملها، إذ أقام الله تعالى الخلافةَ الراشدةَ على منهاج النبوة الثانيةَ الموعودةَ قبيل دفنه عليه السلام، وانتخبت الجماعة الخليفة الأول الحكيم نور الدين القرشي رضي الله عنه، وتحقق نبأ النبي ﷺ بعودة الخلافة من جديد والتي ستستمر إلى يوم القيامة. ودُفن عليه السلام في مقبرة بهشتي (مقبرة الجنة) التي أقامها قبل وفاته بتوجيه من الله تعالى ليدفن فيها هو وأبناء جماعته المخلصين، والتحق بالرفيق الأعلى عند سيده ومطاعه النبي ﷺ، الذي قضى حياته متفانيا في حبه وطاعته.

الفصل الثالث

الجماعة الإسلامية الأحمدية: تأسيسها وإنجازاتها

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ * وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ * ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾

(الجمعة ٣-٤)

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبۡتَغُونَ فَضۡلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًاۖ سِيمَاهُمۡ فِى وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِى ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾

(الفتح ٣٠)

تأسيسها:

تأسست الجماعة الإسلامية الأحمدية بأمر من الله تعالى بتاريخ ٢٣ آذار ١٨٨٩م، كما رأينا سابقا. وبذلك تحقق النبأ الذي أنبأ به القرآن الكريم في سورة الجمعة، والتحق الآخرون بالأولين، وبدأ عهد النشأة الثانية الموعودة للإسلام، وكان هذا التاريخ البداية المباركة لهذه الجماعة التي قُدِّر لها أن تحمل على عاتقها رسالة الإسلام وتبليغه إلى العالم أجمع، والتي سيتحقق بها وعد الله تعالى بظهور الإسلام على الدين كله الذي جاء في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح: ٢٩)

سماتها ومماثلتها للنشأة الثانية في بني إسرائيل وفقا للأنباء

نشأت الجماعة الإسلامية الأحمدية بما يطابق تماما الأنباء والسمات التي قررتها النبوءات القرآنية المتنوعة ووفقا للتصور القرآني للنشأة الثانية للإسلام دون أدنى شك، وانفردت في هذا التصور الذي غاب عن أذهان غالبية المسلمين.

فكما هو معلوم، فقد جاء التأكيد على المماثلة بين الأمة وبني إسرائيل في العديد من المواضع من القرآن الكريم والحديث الشريف، كما رأينا سابقا. وقد أبرز القرآن الكريم هذه المماثلة؛ حيث أكد بأن النشأة الأولى ستكون كالعهد

التوراتي الموسوي في بني إسرائيل والنشأة الثانية ستكون كالعهد الإنجيلي العيسوي – مع فارق وهو أن العهد المسيحي في بني إسرائيل قد انفصل عن اليهودية وأنشأ دينا جديدا بني على الشرك، بينما سيكون عهد النشأة الثانية في الإسلام هو بعثة ثانية للنبي ﷺ وكأنه عاد بنفسه، ومسيحه الذي يمثله في هذه البعثة لن يكون سوى خادم متفانٍ فيه يجمع الناس ويحشرهم عند إقدامه ﷺ من جديد.

وكما هو معلوم، فقد كان عهد موسى عليه السلام جلاليا، حيث قاتل وانتصر على أعدائه ونشأت من بعده دولة لبني إسرائيل تمتعت بالقوة والمنعة إلى فترة من الزمن، بينما بُعث عيسى عليه السلام بعد موسى بـ ١٣٠٠ عام في زمن ضعف بني إسرائيل وفسادهم وتشتتهم وتفرقهم ووقوعهم تحت احتلال إمبراطورية وثنية عظيمة، ثم انتشرت المسيحية في أرجاء هذه الامبراطورية من خلال التبشير وانجذاب الناس إلى جمال تعاليم المسيح وشخصيته حتى أصبحت دين هذه الامبراطورية. فلم تنتشر المسيحية نتيجة الجلال وإنما انتشرت نتيجة الجمال وبصورة تدريجية، ولكنها استحكمت وتمكنت رغم ما تسرب إليها من شرك وعقائد فاسدة.

كذلك فإن عهد النشأة الأولى للإسلام قد كان عهد الجلال بصورة عامة كما كان العهد الموسوي، وإن كان قد ظهر فيه جمال النبي ﷺ وتعاليم الإسلام

أيضا، خاصة في العهد المكي، وقد انتشر الإسلام بقوة هذا الجلال والجمال المحمدي وترسخ في الأرض في سنوات معدودات، مما أذهل العالم حينها ولا زال. ولكن، كما هو معلوم، فقد تسرب الفساد إلى الأمة، وبدأت تفقد عزتها ومنعتها، وتسرب إليها الفساد الفكري الذي شوه جمال تعاليم الإسلام أيضا، إلى أن وصلت إلى حالٍ مترديةٍ ظن أعداؤها أنه زمان إعلان موت الإسلام وانقراضه وغروب شمسه. ففي ذلك الوقت، وبعد ١٣٠٠ عام، وعندما ظُنَّ أن شمس الإسلام أوشكت على الغروب، طلعت الشمس من مغربها، وعاد فجر الإسلام من جديد بقوة جمال تعاليم الإسلام من خلال النشأة الثانية الموعودة التي كان مقدرا أن تماثل النشأة الإنجيلية العيسوية، والتي ستحيط بالعالم ويتحقق بها الوعد الإلهي بظهور الإسلام على الدين كله.

وقد أنبأ القرآن الكريم عن النشأتين وعن المماثلة في العهدين، بعد تأكيده تعالى وشهادته على حتمية ظهور الإسلام ، حيث قال تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٣٠)

فكما كان عهد النشأة الأولى قد تأسس به الدين وبرزت فيه الشدة على الكفار مماثلا لعهد التوراة، فإن عهد النشأة الثانية إنما هو مماثل لعهد الإنجيل الذي مثاله كمثال الزرع الذي يبدأ ضعيفا، ثم بعد ذلك يمتد ويشتد ساقه ويستغلظ ويستوي بحيث يصبح عظيما وهائلا ومغطيا لوجه الأرض وغائظا للكافرين.

ولهذا نشأت الجماعة الإسلامية الأحمدية على هذه الصورة وفي هذا الوقت، وكانت وحدها التي طابقت أنباء بها القرآن الكريم وتصوّره، بينما التصوّرات التي تقوم على أن نهضة الإسلام وعزته منوطة بإنشاء كيان سياسي يقهر العالم وينشر الدين بالإكراه إنما هي أماني وتصورات ما أنزل الله بها من سلطان، فضلا عما تحتويه من مفاسد فكرية وإساءات بالغة شوهت الدين أيما تشويه.

وهذا لا يعني أن الإسلام في نشأته الثانية سيكون ضعيفا خاضعا للقوى الكبرى ولا يملك من أمره شيئا، بل كما أن المسيحية قد انتشرت بقوة الجمال ثم خضعت لها الممالك القوية والشعوب، فإن النشأة الثانية للإسلام التي قدَّرها الله تعالى بإقامة هذه الجماعة ستجذب بقوة الجمال النظم والأمم والشعوب التي ستخضع لهذا الجمال وتتعشقه، وسينال الإسلام مجده المنشود وسيحيط بالعالم أجمع بعد أن يستولي على القلوب وتدخله الأفواج والأمم طائعين، دون أن يكون هنالك أدنى شبهة حول انتشاره بالقوة أو الجبر أو الإكراه – وهو ما

ألصق بنشأته الأولى ظلما وعدوانا، وساهم في ترسيخه الفكر الفاسد والسلوك للمسلمين في هذا العصر- وسيتحقق بذلك الوعد الإلهي بظهور الإسلام على الدين كله دون منازع، وتظهر حقيقة تعاليمه ناصعة بيِّنة ولا يستطيع حاقد أن يشوهها مهما بذل من الجهود، وسينال الإسلام مجدا أكبر بكثير من المسيحية المحرَّفة التي من أهداف تأسيس هذه الجماعة التي قررها الله تعالى هي القضاء على شركها وما أشاعته في العالم من فساد عقدي وعملي.

الغرض منها

وفي توضيحه للغرض من إقامة الجماعة ونظام البيعة، الذي أقيم بأمر الله تعالى كان إيذانا ببدء عصر النشأة الثانية للإسلام، قال مؤسسها الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام ما تعريبه:

"إن نظام البيعة لا يهدف إلا إلى تكوين جماعة من المتقين، لكي تترك هذه الجماعة المتألفة من المتقين على الدنيا تأثيرها الحسن. ولكي يكون اجتماعهم مدعاة للخير والبركة والعواقب الحسنة للإسلام. ولكي يُستَخدَموا لأداء الخدمات النبيلة للإسلام ببركة إجماعهم على كلمة واحدة. ولكي لا يكونوا مسلمين كسالى وبخلاء لا فائدة منهم، ولا مثل هؤلاء الجهّال الذين ألحقوا بالإسلام أضرارا فادحة بسبب فُرقتهم وتشتُّتهم، ووصَموا وجهَه الجميلَ بسبب تصرُّفاتِهم الفاسقةِ. ولا مثل النُسَّاك الغافلين والمنْطَوِين على أنفسهم الذين لا

يعرفون شيئا عن حاجاتِ الإسلام، ولا يهتَمُّون بمواساة إخوانهم شيئا، ولا يجدون في أنفسهم أدنى حماسٍ لإيصال الخير إلى الناس. بل يجب عليهم أن يكونوا متعاطفين للأمة حتى يصبحوا ملاذا للفقراء، ولليتامى كالآباء، ويظلوا جاهزين للتضحية في سبيل خدمة الإسلام مثل العاشق المشغوف، ويبذلوا قصارى جهودهم أن تنتشر بركاتُهم العميمةُ في الدنيا وينفجرَ الينبوعُ الطاهر لحبِّ الله ومواساةِ عبادِه من كل قلبٍ، ثم يتَمَرْكَزَ في مكان واحدٍ ويتراءى مِثل البحرِ الزاخِرِ...

وإنني على ثقةٍ بأن هذا ما سوف يَحصُل بالضَبْط للذين يترقبون بالصبر والمثابرة بعدَ انْضمامِهم إلى هذه الجماعة. لأن الله تعالى قد أراد أن يخلق هذه الجماعةَ ثم يهبَها تقدُّمًا ليُظِهر جلالَه ويُرِيَ قدرتَه لكَيْ ينشر في الدنيا حبَ الله تعالى والتوبةَ النصوحَ والطهارةَ والحسنةَ الحقيقيةَ والأمنَ والصلاح ومواساةَ البشر. فهذه الجماعة ستكون جماعته المختارة التي سوف يهبها القوةَ بروحهِ الخاصةِ ويُطهِّرهم من الحياةِ القذرةِ، وسوف يُحْدِثُ تغييرا طيبًا في حياتهم. وكما أنه ﷻ قد وَعد في أنبائِه المقدسة فإنه سوف يجعل هذه الجماعةَ تزدَهِرُ، ويُدخِل فيها ألوفًا من الصلحاء. إنه تعالى سوف يَرْوِيها بنفسه ويهب لها الازدهار حتى إنَّ كثرتَها وبركتَها سوف تبدو غريبةً للأعين. وسوف ينشرون ضوءَهم إلى جميعِ أرجاءِ المعْمُورةِ مثل المصباحِ الموضوعِ في المكان المرتَفَعِ، وسيكونون نَمُوذَجًا

للبركات الإسلامية. إنه عز وجل سوف يهب للأَتباعِ الكاملين لهذه الجماعة، غلبةً على الفئات الأخرى كلِّها في كلّ نوعٍ من البركاتِ. ولسوف يكون في هذه الجماعة أناسٌ إلى يوم القيامة الذين سوف يوهَب لهم القبولُ والنصرةُ. هذا ما أراد اللهُ الربُّ الجليلُ. إنه لَقادرٌ فعّال لما يريد. له القوةُ كلها وله القدرةُ كلها. فالحمد لله أولا وآخرًا وظاهرا وباطنا. أسلَمْنا له، هو مولانا في الدنيا والآخرة، نِعْمَ المولى ونعم النصير." (إزالة أوهام، الخزائن الروحانية، ج ٣، ص ٥٦١-٥٦٣)

شروط الانضمام إليها

وللانضمام إليها وضع الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام الشروط التالية:

أولاً: أن يعاهد المبايع بصدق القلب على أن يتجنب الشركَ حتى الممات.

ثانيًا: أن يجتنبَ قولَ الزور، ولا يقرَب الزنى وخيانةَ الأعين، ويتنكب جميعَ طرق الفسق والفجور والظلم والخيانة والبغي والفساد؛ وألا يَدَعَ الثوائرَ النفسانية تغلبه مهما كان الداعي إليها قويًّا وهامًّا.

ثالثًا: أن يواظب على إقامة الصلوات الخمس بلا انقطاع تبعًا لأوامر الله ورسوله، وأن يداوم جهدَ المستطاع على أداء صلاة التهجد، والصلاةِ على النبي ﷺ، والاستغفارِ وطلبِ العفو من ربه على ذنوبه كل يوم؛ وأن يذكُرَ نعمَ الله ومِنَنَه بخلوص القلب كل يوم، ثم يتخذ مِن حمده وشكره عليها وِردًا له.

رابعًا: ألا يؤذيَ، بغير حق، أحدًا من خلق الله عمومًا والمسلمين خصوصًا من جراء ثوائر النَّفْس، لا بيده ولا بلسانه ولا بأي طريق آخر.

خامسًا: أن يكون وفيًّا لله تعالى وراضيًا بقضائه في جميع الأحوال: حالةِ التَرَح والفَرَح، والعسرِ واليسر، والضنكِ والنعم؛ وأن يكون مستعدًّا لقبول كل ذلة وأذى في سبيله تعالى، وألا يُعرِضَ عنه سبحانه وتعالى عند حلول مصيبة، بل يمشي إليه قُدُمًا.

سادسًا: أن يكُفَّ عن اتِّباع التقاليد الفارغة والأهواء النفسانية والأماني الكاذبة، ويقبَلَ حكومةَ القرآن المجيد على نفسه بكل معنى الكلمة، ويتخذَ قولَ الله وقولَ الرسول دستورًا لعمله في جميع مناهج حياته.

سابعًا: أن يُطلّق الكبرَ والزهو طلاقًا باتًّا، ويقضيَ أيامَ حياته بالتواضع والانكسار ودَماثة الأخلاق والحلم والرِّفق.

ثامنًا: أن يكونَ الدِّينُ وعزُّه ومواساةُ الإسلام أعزَّ عليه من نفسه وماله وأولاده ومن كل ما هو عزيز عليه.

تاسعًا: أن يظلّ مشغولاً في مواساة خَلْق الله عامةً لوجه الله تعالى خالصةً، وأن ينفع أبناءَ جنسه قدر المستطاع بكلَّ ما رزَقه الله من القوى والنعم.

عاشرًا: أن يعقِدَ مع هذا العبد عهدَ الأخوة خالصًا لوجه الله على أن يطيعني في كل ما آمره به من المعروف، ثم لا يحيد عنه ولا ينكُثه حتى الممات، ويكون

في هذا العقد بصورة لا تعدِلها العلاقاتُ الدنيوية.. سواء كانت علاقات قرابةٍ أو صداقةٍ أو خدمةٍ. (إعلان "تكميل التبليغِ"، المنشور في كانون الثاني ١٨٨٩- مجموعة الإعلانات، ج ١، ص ١٨٩-١٩٠)

ونلاحظ أن هذه الشروط ليست إلا اختصارا لتطبيق أحكام الإسلام على أكمل وجه والتقدم في العبادات والحسنات، والتي لو التزم بها المبايع فإنه سيصبح مسلما حقيقا مفلحا في الدنيا والآخرة.

قيام الخلافة الراشدة على منهاج النبوة فيها مجددا تحقيقا للنبأ

قبل وفاة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام أخبر جماعته أن الله تعالى قد أوحى إليه أن أجله قد اقترب. فكتب كتابًا أسماه "الوصية" أوصى به جماعته وبشَّرها بقيام الخلافة الراشدة على منهاج النبوة من بعده، ومما قاله:

"... إنه تعالى يُري نوعين من قدرته: أولاً، يُري يدَ قدرته على أيدي الأنبياء أنفسهم، وثانيًا، يُري يدَ قدرته العظيمة بعد وفاة النبي عند حلول المحن، حيث يتقوى الأعداء ويظنون أن الأمر الآن قد اختل، ويوقنون أن نهاية هذه الجماعة قد دنت، حتى إن أعضاءها أنفسهم يقعون في الحيرة والتردد، وتُقصَم ظهورهم، بل ويرتدّ العديد من الأشقياء منهم، وعندها يُظهر الله تعالى قدرتَه القوية ثانيةً، ويُساند الجماعة المنهارة. فالذي يبقى صامدًا صابرًا حتى اللحظة الأخيرة يرى هذه المعجزة الإلهية، كما حصل في عهد سيدنا أبي

بكر الصديق ﷺ، حيث ظنوا أن وفاة الرسول ﷺ قد سبقت أوانَها، وارتد كثير من جهال الأعراب، وأصبح الصحابة لشدة الحزن كالمجانين، فعندها أقام الله تعالى سيدنا أبا بكر الصديق ﷺ، وأظهر نموذجًا لقدرته الثانية، وحمى الإسلام من الانقراض الوشيك، وهكذا أتم وعده الذي قال فيه ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لهم دينَهم الذي ارتضى لهم وليُبدِّلنّهم من بعد خوفهم أمنًا﴾...

فيا أحبائي، ما دام من سنة الله القديمة أنه تعالى يُري قدرتين، لكي يحطّم بذلك فرحتَين للأعداء كاذبتين، فمن المستحيل أن يغيّر الله تعالى الآن سنته الأزلية. لذلك فلا تحزنوا لما أخبرتكم به ولا تقلقوا، إذ لا بد لكم من أن تروا القدرة الثانية أيضًا، وإن مجيئها خير لكم، لأنها دائمة ولن تنقطع إلى يوم القيامة. وإن تلك القدرة الثانية لا يمكن أن تأتيكم ما لم أغادر، ولكن عندما أرحل سوف يرسل الله لكم القدرةَ الثانية، التي سوف تبقى معكم على مدى الأيام، كما وعد في "البراهين الأحمدية"، وإن ذلك الوعد لا يتعلق بي بل يتعلق بكم أنتم. كما يقول الله تعالى: إني جاعلُ هذه الجماعةِ الذين اتبعوك فوق غيرهم إلى يوم القيامة.

فمن الضروري أن يأتيكم يومُ فراقي ليأتي بعده ذلك اليوم الذي هو يوم الوعد الدائم. إن إلهنا إلهٌ صادق الوعد، وفِيٌّ وصدوق، وسيُحقق لكم كل ما وعدكم به...

لقد بُعثتُ من الله تعالى كمظهر لقدرته ﷻ، فأنا قدرة متجسدة. وسيأتي من بعدي آخرون، سيكونون مظاهر قدرة الله الثانية. لذلك كونوا منتظرين لقدرة الله الثانية داعين لمجيئها مجتمعين. ولتجتمع كل جماعة من الصالحين في كل قطر وليدعوا حتى تنزل القدرة الثانية من السماء وتُريَكم أن إلهكم إله قادر لهذه الدرجة...

وينبغي لصلحاء الجماعة ذوي النفوس الطاهرة أن يأخذوا البيعة من الناس باسمي من بعدي. فالله يريد أن يجذب إلى التوحيد جميع الأرواح ذوي الفطرة الصالحة من مختلف أقطار المعمورة، سواء كانوا من أوروبا أو آسيا، وأن يجمع عباده على دين واحد. هذه هي غاية الله تعالى التي أُرسِلتُ من أجلها إلى الدنيا. لذلك اجعلوا هذا المقصد نصب أعينكم، ولكن باللطف وحسن الخلق وكثرة الدعاء. " (الوصية، الخزائن الروحانية، ج ٢٠، ص ٣٠٦- ٣٠٧)

وبحسب هذه الوصية والبشارة قام في الجماعة نظام الخلافة بفضل الله تعالى ليترأس نظامها الإداري، حيث خلَف مؤسسَ الجماعة عليه السلام خليفتُه الأول الحافظ الحكيم نور الدين القرشي رضي الله عنه (١٩٠٨-١٩١٤)، ثم الخليفة الثاني مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه (١٩١٤-١٩٦٥)، ثم تلاه الخليفة الثالث الحافظ مرزا ناصر أحمد رحمه الله تعالى (١٩٦٥-١٩٨٢)، ثم الخليفة الرابع

مرزا طاهر أحمد رحمه الله تعالى (١٩٨٢-٢٠٠٣)، ونحن الآن في عهد الخليفة الخامس مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز.

الخليفة الأول

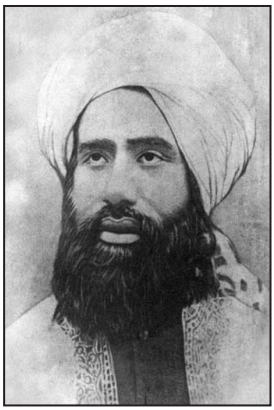

الحافظ الحكيم نور الدين القرشي

رضي الله عنه

(١٩٠٨ - ١٩١٤)

الخليفة الثاني

مرزا بشير الدين محمود أحمد

رضي الله عنه

(١٩١٤ - ١٩٦٥)

الخليفة الثالث

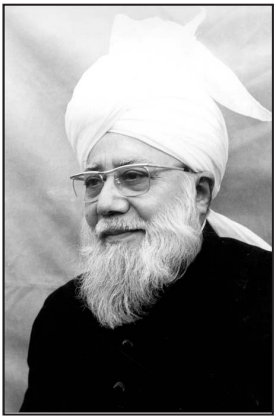

الحافظ مرزا ناصر أحمد

رحمه الله تعالى

(١٩٦٥ - ١٩٨٢)

الخليفة الرابع

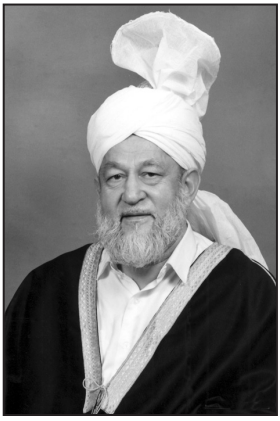

مرزا طاهر أحمد

رحمه الله تعالى

(١٩٨٢ - ٢٠٠٣)

الخليفة الخامس

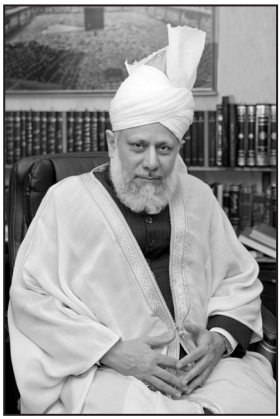

مرزا مسرور أحمد

أيده الله تعالى

بنصره العزيز

إنجازات الجماعة

تشييد المساجد

لقد شيدت الجماعة الإسلامية الأحمدية آلاف المساجد لنشر الدعوة الإسلامية وتمكينها في مختلف ربوع الأرض، وكانت سبَّاقة في هذا العمل بفضل الله. فعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد بنَتِ الجماعة أول مسجد في لندن عام ١٩٢٤م واسمه "مسجد الفضل"، وقد تحملت سيدات الجماعة وحدهن تكاليفَ بنائه حيث تبرعن بحُلّيهن لتحقيق هذا الواجب الديني. وفي أسبانيا بنَتِ الجماعة مسجد "البشارة" في قرطبة وكان أول مسجد جديد عرفته أسبانيا منذ ٥٠٠ عام بعد خروج المسلمين وانتهاء حكمهم في الأندلس. وتوجد آلاف المساجد في أفريقيا وأوروبا وأستراليا وآسيا وأميركا، وهي بحمد الله في تزايد مستمر لإرساء دعائم التوحيد والدين الحنيف.

مراكز الدعوة والتبليغ

وإلى جانب بناء بيوت الله فقد نشرت الجماعة في معظم أنحاء العالم شبكةً لمراكز الدعوة الإسلامية واسعة النطاق والتأثير، وقد تجاوز عدد هذه المراكز المئاتِ الآن، كما تأسست الجماعة حتى اليوم في أكثر من ٢٠٠ بلد. والمسلمون الأحمديون معروفون في كل مكان بحسن أخلاقهم وصالح أعمالهم

من أجل الدين والإنسانية، ويشار إليهم بالبنان بسبب سلوكهم الإسلامي الرزين.

نشر القرآن الكريم وترجمة معانيه

قامت الجماعة الإسلامية الأحمدية بمشروع نشر القرآن الكريم وترجمة معانيه بما يزيد على ٧٠ لغة عالمية إلى اليوم. وتحديثًا بنعمة الله تعالى فإن هذه الإنجازات الجليلة فاقت كمًّا وكيفًا كلَّ ما قامت به الفرق والدول الإسلامية وهيئاتها معًا في هذا المجال، إذ لم تتجاوز تراجمها لمعاني القرآن عددَ أصابع اليدين. وهذا إن دلَّ على شيء، فإنما يدل على اهتمام الخلافة الإسلامية الأحمدية بإشاعة رسالة القرآن الكريم في العالم أجمع، إيمانًا منها بعالمية الرسالة المحمدية، وعملاً منها بالتوجيهات المباركة الزكية التي أرشد إليها الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بأمر من الله سبحانه وتعالى.

لقد اعترف المنصفون بأن تراجم الجماعة الأحمدية لمعاني القرآن الكريم هي أفضل التراجم وأدقُّها وأصحُّها التي صدرت حتى الآن.

نشر الكتب والمطبوعات الإسلامية

تصدر الجماعة آلاف الكتب بلغات عالمية ومحلية في الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية ومفاهيمها الصحيحة ودلائل إعجاز الإسلام أمام التحديات المعاصرة والمعارف العلمية الحديثة، بالإضافة إلى عشرات الجرائد

والمجلات والدوريات التي تصدرها بمختلف اللغات من شتى البلاد. والغالبية العظمى من هذه الكتب والمنشورات والدوريات منشورة على مواقع الجماعة على الشبكة العالمية (الانترنت).

المحطة الفضائية الإسلامية الأولى

لقد تمَّ بفضل الله وتوفيقه إنشاء أول محطة فضائية إسلامية (**MTA International**) في لندن من قِبل الجماعة الإسلامية الأحمدية، حيث تبث هذه القناة برامجها بمختلف اللغات العالمية كل يوم على مدار الساعة، ويغطّي إرسالها كلَّ القارات عبر الأقمار الصناعية. وتتوخى هذه القناة من خلال برامجها المتنوعةِ الألسنِ إحياءَ المفاهيم الإسلامية الحقيقية.

وقد ابتدأت بثها بقناة واحدة، ثم افتُتحت قناة ثانية، ثم افتُتحت القناة الثالثة العربية التي تبث برامجها باللغة العربية على مدار الساعة منذ عام ٢٠٠٧ في ذكرى تأسيس الجماعة. وقد أحدثت القناة الثالثة العربية ثورة في العالم العربي، ولاقت قبولا وإعجابا من قطاع واسع من المشاهدين العرب، وأدَّت بفضل الله تعالى إلى انضمام الآلاف من العرب إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية.

كما تسعى الجماعة إلى زيادة عدد القنوات لكي تتناسب مع احتياجات المشاهدين وأوقاتهم. إن جميع برامجها يعدّها المتطوعون في مختلف أنحاء العالم. كما أن طاقم العمل في هذه المحطة في غالبيته العظمى هو من المتطوعين

والواقفين أنفسهم لخدمة الدين.

خدمات صحية وتعليمية

بالرغم من الميزانية المحدودة للجماعة فإنها لم تتوانَ قط في مد يد المساعدة عبر خدماتها المجانية في مجالات الصحة والتعليم والتنمية في البلدان الفقيرة والمناطق المنكوبة وخاصة في أفريقيا. وقد شيدت فيها عشرات المدارس والكليات والمستشفيات. بالإضافة إلى مئات المستوصفات في مختلف البلاد التي يعالَج فيها المرضى بما يسمى العلاج بالمثل (الهوميوباثي). كما تهتم الجماعة دائمًا بتقديم المساعدات الإنسانية لأهل المناطق المنكوبة في العالم بغض النظر عن فوارق العرق والدين. وهذا انطلاقا من مفهوم الإسلام الصحيح الذي ينبغي أن تكون خدمة الخلق وتقديم يد المساعدة لهم أيا كانوا جزءًا لا يتجزأ من الإسلام.

وقامت الجماعة مؤخرا بتقديم يد المساعدة في البلاد العربية والإسلامية التي تواجه حروبا وظروفا قاسية كما في فلسطين وللاجئين السوريين في البلاد المجاورة والعالم بعد اندلاع الحرب في سورية عام ٢٠١١.

نظام تأهيل الدعاة

تتبع الجماعة نظام تأهيل الدعاة نظرا إلى الحاجة الماسة للدعوة والإرشاد في جميع بقاع العالم. فأنشأت الجامعات الأحمدية والمعاهد الدينية لتأهيل الدعاة في

كثير من بلدان العالم، حيث يتخرج سنويا عشرات الدعاة ويقومون بنشر الإسلام إلى أقاصي الأرض.

وإضافة إلى هذا فقد قدّم الخليفة الرابع ميرزا طاهر أحمد – رحمه الله – مشروعًا أمام أفراد الجماعة لينذروا أطفالهم قبل ولادتهم لخدمة الإسلام. وقد كانت استجابة أفراد الجماعة مذهلة حيث اشترك في هذا المشروع إلى الآن أكثر من ستين ألف طفل، وعددهم في ازدياد مستمر، والحمد لله. وقد بلغ أوائل المنذورين الآن سنًّا انخرطوا فيه في خدمة الجماعة من دعوة وتبليغ وقطاعات أخرى مساندة، وهم يخدمون الجماعة بكل نشاط وتفانٍ.

تحقيق الوحدة والتآلف؛ أهم إنجاز للجماعة

وإن أهم ما أنجزته الجماعة الإسلامية الأحمدية هو تحقيق الوحدة والتآلف بين أفراد الجماعة رغم انتمائهم إلى جنسيات مختلفة، ودول مختلفة، ولغات مختلفة، وثقافات مختلفة، وتحوّلهم من ديانات مختلفة، ولكنهم اتحدوا جميعا على كلمة واحدة، وتحت قيادة واحدة؛ هي الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، فألّف الله تعالى بين قلوبهم، ووحّد كلمتهم، وجمع شملهم؛ وهو الأمر الذي تقف الأمة الإسلامية كلها اليوم في أمسِّ الحاجة إليه. وبهذا فقد ثبت أن هذه الجماعة هي بالفعل جماعة الآخرين الملتحقة بالأولين، والذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ

وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأَنْفال: ٦٤)

مستقبل الجماعة الإسلامية الأحمدية

أما عن مستقبل الجماعة الإسلامية الأحمدية، فقد قال مؤسسها المسيح الموعود عليه السلام ما تعريبه:

"الدنيا لن تقبلني لأني لست منها، ولكن الذين وُهبتْ فطرتُهم نصيبًا من ذلك العالَم هم يقبلونني، وسوف يقبلونني. والذي يهجرني إنما يهجر مَن بعثني، والذي يوطد الصِلة بي إنما يوطدها بالذي جئتُ من عنده. إن في يدي سراجًا، فمَن أتاني نال من هذا النور نصيبًا، ولكن الذي يفرّ عني من جراء الشك وسوء الظن فسوف يُلقَى في الظلمات. أنا الحصن الحصين لهذا العصر، مَن تحصَّن بي فقد وقى نفسه من اللصوص وقُطَّاع الطريق والوحوش الضارية. وأما الذي يفضّل البقاء بعيدًا عن أسواري، فسيواجه الموت من كلّ طرف وصوب فلن تسلَم حتى جثّته" (فتح الإسلام، الخزائن الروحانية، ج٣، ص ٣٤)

وقال عليه السلام أيضاً: "إن الله تعالى قد أخبرني مرارًا وتكرارًا أنه سيرزقني العظمة الخارقة، ويرسخ حبي في القلوب، وينشر جماعتي في الأرض كلها، ويجعلها غالبة على جميع الفرق، وسينال أبناء جماعتي كمالا في العلم والمعرفة لدرجة يُفحِمون الجميعَ بقوة نور صدقهم والبراهين والآيات. وكل قوم سيرتوي من هذا الينبوع. إن هذه الجماعة سوف تنمو وتزدهر بقوة خارقة حتى تحيط بالعالَم كله.

ستكون هناك كثير من العراقيل والبلايا، ولكن الله سوف يزيلها جميعا من الطريق وسوف يُتِّم وعده. ولقد قال الله مخاطبًا إياي: سوف أباركك بركة تلو بركة حتى إن الملوك سيتبركون بثيابك. فأيها المستمعون اسمعوا وعوا واحتفظوا بهذه الأنباء في صناديقكم لأنه كلام الله الذي سوف يتحقق يومًا". (التجليات الإلهية، الخزائن الروحانية، ج ٢٠، ص ٤٠٩-٤١٠)

وقال عليه السلام أيضاً: "اسمعوا جيدًا أيها الناس جميعًا! إنه لمما أنبأ به خالقُ السماوات والأرض أنه سوف ينشر جماعته هذه في البلاد كلها، ويجعلهم غالبين على الجميع بالحجة والبرهان. ولسوف تأتي أيام، وهي قريبة، تكون فيها هذه الجماعة هي الوحيدة التي تُذكَر في العالم بالعز والشرف. إن الله سوف يبارك في هذه الجماعة والدعوة بركاتٍ كبرى خارقة للعادة، ويخيِّب كلَّ من يفكر في القضاء عليها، وسوف تستمر هذه الغلبة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.". (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية، ج٢٠، ص ٦٦)

وقال عليه السلام أيضاً: "الدنيا لا تعرفني، ولكن يعرفني من بعثني. إنهم بسبب خطئهم وشقاوتهم الشديدة يريدون إبادتي. إنني ذلك الغراس الذي غرسه المالك الحقيقي بيده...

أيها الناس، كونوا على يقين أن معي يدًا لن تزال وفيَّةً معي إلى آخر الأمر. ولئن اجتمع رجالكم ونساؤكم، وشبابكم وشيوخكم، وصغاركم وكباركم كلهم،

وابتَهَلُوا إلى الله تعالى ودَعَوا لهلاكي في اضطرار وحرارة حتى تتآكل أنوفهم وتشلّ أيديهم، فلن يستجيب الله لهم، ولن يبرح حتى يُتمَّ ما أراد... فلا تظلموا أنفسكم. إن للكاذبين وجوهاً غير وجوه الصادقين. إن الله تعالى لا يترك أمراً دون أن يحسمه... فكما أن الله قد حكم بين أنبيائه ومكذبيهم في الماضي، فإنه تعالى سيحكم الآن أيضًا. إن لمجيء أنبياء الله موسماً ولرحيلهم موسماً كذلك. فتأكدوا أنني لم آتِ بدون موسم، ولن أذهب بدون موسم. فلا تختصموا مع الله، فلن تستطيعوا إبادتي". (ضميمة التحفة الغولروية، الخزائن الروحانية، ج ١٧، ص ٤٩-٥٠)

(تمّ بحمد الله تعالى)

كلمة أخيرة

لا شك أن الدلائل والبينات على حقيّة هذه الجماعة، التي تحقق بإقامتها نبأ النشأة الثانية الموعودة للإسلام، وصدق مؤسسها عليه السلام، واضحة جلية، ولا يملك من تحلّى بحسن الظن وبقلبٍ سليمٍ ونظرٍ نزيهٍ إلا أن يسلِّم بذلك بعد أن يطَّلع عليها، وسيجد أن الله تعالى سيرشده إلى الحق ويقذف في قلبه الإيمان بفضله وبرحمته، وسيفرح بفضل الله تعالى عليه إذ وجدها وآمن بالمبعوث الموعود الذي أنبأ به النبي ﷺ وأمر بالإيمان به ومبايعته، وأمر بإيصال سلامه ﷺ له.

أما الذي لا يجد الطمأنينة رغم نصاعة الأدلة والبينات، ويبقى في دوامة تتجاذبه الشكوك، ولا يثق أن لديه القدرة على حسم المسألة بالنظر في الأدلة والحكم عليها ويخشى أن يضلَّ، فإن السبيل التي يجب أن يسلكها هي التوجه إلى الله بكل إخلاص وتفانٍ وتواضع، وأن يسأله في أمر هذه الجماعة وفي مؤسسها عليه السلام. ولا شك أن الذي يُقدِم على ذلك بإخلاص لا بد أن يكشف الله تعالى عليه الحق وييسر له اتِّباعه والثبات عليه.

ونقتبس كلمات الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام التي ضمَّنها كتابه "تحفة بغداد"، الذي ردَّ فيه على الشيخ البغدادي الذي تسرَّع في التكذيب دون أن يتحقق ويتثبت، داعيا إياه إلى الاستخارة وسؤال الله في أمره عليه السلام وأمر

جماعته، بعد أن قدم له الأدلة والبينات، حيث قال عليه السلام:

"أخرِجْ أوّلاً مِن صدرك كلَّ ما دخل فيه من سوء الظن، ثم قُمْ وتوضّأْ وصلِّ ركعتين، وصلِّ وسلِّمْ واستغفرْ استغفار التائبين، ثم اضطجعْ مستقبلا على مُصلاك، وتَخَلَّ بمُناجاة مولاك، واسأل الله لاستكشاف حالي، وحقيقية مقالي، ثم نَمْ قائلاً: يا خبير أخبِرْني في أمر أحمد بن غُلام مرتضى القادياني، أهو مردودٌ عندك أو مقبول؟ أهو ملعون عندك أو مقرون؟ إنك تعلم ما في قلوب عبادك، ولا تُخطئ عينك، وأنت خير الشاهدين. ربنا آتنا من لدنك علمًا جاذبًا إلى الحق، ونظرًا حافظًا من نقل الخطوات إلى خطط الخطيّات، وأدخِلْنا في الموفَّقين. ما كان لنا أن نُقدّم بين يديك، أو نتصرّف في سرائر عبادك، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وافتح عيوننا، ولا تجعلنا من الذين يُعادون أولياءك، أو يحبّون المفسدين. آمين ثم آمين.

واستخِرْ يا أخي من جمعة إلى جمعةٍ أُخرى، وعقِّبْ تهجُّدَك بهذه الركعتين" (تحفة بغداد، الخزائن الروحانية)

نسأل الله تعالى أن يهدي عباده إلى الحق، وينير بصيرتهم، ويفتح قلوبهم، ويدخلهم في عباده المقبولين، ويكتبهم في الآخرين الملحقين بالأولين، آمين.